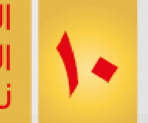


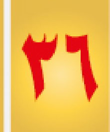
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٤٩ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ

الإرهاب والطائفية
أدوات حرب الإسلام القادمة



١٠ الحرب الشيعية الناعمة.. الإعلام نموذجا


٢٨ الاتفاق النووي في الصحافة الجزائرية


٣٦ التمكين الشيعي استراتيجيات تمكين الشيعة وتعزيز أوضاعهم في العالم

المحتويات

فاتحة القول

❁ الإرهاب والطائفية أدوات حرب الإسلام القادمة ٢

فرق ومذاهب

❁ الوجه الآخر للبوذية.. كراهية بلون الزعفران .... مجلة لوموند ٤

سطور من الذاكرة

❁ صلاح الدين ومؤامرات الفاطميين (٨) مؤامرة قديد القفاص وشيعة حلب والحشاشين .... هيثم الكسواني ٧

دراســـــات

❁ الحرب الشيعية الناعمة... الإعلام نموذجا .... أسامة شحادة ١٠
❁ التيار الناصري وإيران... تساؤلات تبحث عن إجابات .... أسامة الهتيمي ٢١
❁ الإسلام وقضايا المرأة في أفريقيا .... فاطمة عبد الرؤوف ٢٥
❁ الإنفاق النووي في الصحافة الجزائرية كتاب الرأي نموذجا .. بوزيدي يحيى ٢٨
❁ قادة الأكراد والتوظيف ضد الأمة .... عامر عبد المنعم ٣٣

كتاب الشهر

❁ التمكين الشيعي استراتيجيات تمكين الشيعة وتعزيز أوضاعهم في العالم ٣٦

قالوا

.... ٤١

جولة الصحافة

❁ إيران وحزب الله والموقف من الصراع في سوريا .... د. محمد السلمي ٤٣
❁ خرق الإنفاق النووي الأمريكي- الإيراني قبل تطبيقه! .... علي باكير ٤٨
❁ طائفي أنا... بامتياز .... عبد الرحمن السقاف ٤٩
❁ لنقود إيران الى حارة ضيقة اسمها الديموقراطية .... جمال خاشقجي ٥١
❁ خيارات إيران في الهلال الخصيب .... أنس الوهيبي ٥٣
❁ قتل الله من قتل تنطعه أهل الشام .... مجاهد ديرانية ٥٦
❁ هل هو ظريف حقا؟ .... أسامة شحادة ٥٨
❁ دولة الميلشيات .... د. فراس الزوبعي ٥٩
❁ قراءة في خطاب ظريف! .... د. محمد الرميحي ٦٠
❁ عين على التقارب الإيراني مع حزب الشعب الجمهوري .... محمد زاهد جول ٦٢
❁ فلسطين في الخطاب الإيراني... سقوط الوهم .... إحسان الفقيه ٦٥
❁ كيف خطت دوائر صناع القرار في الغرب حدود الشرق الأوسط .... محمد فتحي ٦٨





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٤٩)
ذو القعدة- ١٤٣٦ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

الإرهاب والطائفية
أدوات حرب الإسلام القادمة

كيد أعداء الإسلام للإسلام لم يتوقف ولن يتوقف، وهو كيد كبير وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ [إبراهيم: ٤٦]، وهذا المكر والكيد يتبدلان ويتطوران بتبدل الأحوال والظروف.

وفي المرحلة المقبلة ستكون الأدوات المفضلة في حرب الإسلام إلصاق تهمة الإرهاب والطائفية بالإسلام نفسه وبكل القوى المحسوبة عليه، بعد أن تم شحن العالم إعلامياً وفكرياً وبكافة الوسائل عبر الصحف والمجلات والإذاعات والفضائيات والأفلام السينمائية بخطورة الإرهاب وبشاعة إجرامه، ووحشية الطائفية ودمويتها وظلمها وإقصائها للآخرين.

مما جعل القلوب والعقوب متهيئة لكره وبغض كل من يكون إرهابيا أو طائفياً أو الاثنين معاً، وهنا تأتي المرحلة الخطرة عبر اختصاص الإسلام والمسلمين بتهمة الإرهاب والطائفية، من خلال منابر وأبواق أعداء الإسلام.

ورغم أن الإسلام كدين والقوى الإسلامية الحقة ترفض الإرهاب علناً وجهراً، وتنبذ الطائفية بكل أشكالها، بل الإسلام والقوى الإسلامية الحقة هم ضحية الإرهاب والطائفية في العالم أجمع، إلا أن أعداء الإسلام نجحوا في تسويق الكذبة الكبرى.

ففي فلسطين التي احتلّت بالحديد والنار وعبر مئات المجازر الإرهابية على يد الميلشيات اليهودية التي لم تتورع عن قتل الصغير والكبير وحرق الأخضر واليابس منذ أكثر من ٨٠ سنة ولليوم، فإن صورة إسرائيل في الذهن العالمي صورة الضحية!

فإسرائيل في الذهن العالمي والغربي تحديداً هي الضحية الديمقراطية المتنورة وسط غابة الوحوش الإسلامية الإرهابية! فقطعان المستوطنين اليهود الهمجية التي تعيث في الأرض فساداً كل يوم وحروب إسرائيل الهمجية المتكررة على قطاع غزة، لا تعد من الإرهاب والطائفية في واقع العالم اليوم المحكوم بالإعلام المنحاز والمعادي للإسلام.

والعجيب أن العالم يدّعى حرب الطائفية، ثم يتعايش بكل سرور مع سعي إسرائيل لإعلان نفسها دولة يهودية خالصة!

أما داعش الذي أصبح يمثل العلامة التجارية للإرهاب في العالم، فهو يعلن الحرب صبح مساء على كل المسلمين، والمسلمون هم أول وأكبر ضحاياه، وأعداء الإسلام هم المستفيدون منه، وهم من هيأ له ظروف الوجود بظلمهم للمسلمين، وهم من سهّل له البقاء بعرقلة جهود مقاومته، وهم من يمده بأسباب القوة عبر تسهيل البيع والشراء معه وتسليحه بتسليم مستودعات الجيشين العراقي والسوري له وأموال البنك المركزي بالموصل.

وقد أصبح داعش فزاعة يلجأ لها أعداء الإسلام لتمرير مخططاتهم فرأينا داعش تظهر في أفغانستان، وليبيا، واليمن، وغزة، وسيناء، ثم لا يكون دوره إلا زعزعة الاستقرار بما يحقق مصالح الأعداء!

كما تم استغلال داعش للتعمية على الطائفية الحقيقية التي تطعن الإسلام والمسلمين في ظهرهم، فهاهم شيعة العراق بعد أن كانوا شركاء للسنة في العراق في كونهم ضحايا ظلم واستبداد النظام السابق، أصبحوا اليوم سادة الظلم والاستبداد في العراق تجاه شركائهم في المظلومية!!

بل فاقوا في ظلمهم واستبدادهم في هذه السنوات القليلة التي استولوا على الحكم فيها على النظام السابق بعقوده الطويلة، وأعادوا إحياء ذكريات الدولة الصفوية الوحشية بل غرائبها وعجائبها، وعلى منوالهم ينسج تنظيم داعش في وحشيته.

لكن الفارق بين شيعة العراق بساستهم ومراجعهم وميلشياتهم أنهم يمارسون أنكى صور الإرهاب وأكثر صور الطائفية وحشية، ويدعمهم جهاز إعلامي كبير ينشر الأكاذيب عن كونهم ضحية لإرهاب داعش

وأن تصرفاتهم ردة فعل على داعش، بينما داعش يمارس الإرهاب والوحشية ويوثق ذلك إعلامياً ويتفاخر به! بعد أن اقتبس أساليب الصفويين، وبعد أن فسح الصفويون لها المجال في مناطق السنة يعيث بها فسادا ودمارا، والنتيجة النهائية أن تلصق تهمة الإرهاب والطائفية بأهل السنة وتدمر مناطقهم بيد داعش وجاحش، ويظهر الشيعة كاليهود في فلسطين بصورة الضحية!

وفي اليمن وسوريا يقوم النظام السوري ومليشيات الحوثي بقتل الشعب وتدمير البلد، من منطلق طائفي ويستعينون بإيران على إجرامهم، ثم يبررون ذلك بأنهم يحاربون الإرهاب والطائفية!

لم تشهد المنطقة إرهاباً وطائفية كإرهاب وطائفية الشيعة وإيران، واليهود وإسرائيل، ولكنهم يجيدون الكذب والتزوير من جهة، ويحسنون التلاعب بالأغبياء من شباب الأمة عبر رؤوس الجهل والتهور من دعاة الغلو والعنف.

فإذا كانت تهمة الطائفية والإرهاب ستكون أداة أعداء الإسلام في حرب الإسلام والمسلمين، فهل نقف متفرجين ومنتظرين أن يحاط بنا ويُكاد لنا وندمر؟ الواجب الشرعي والعقلي يحتم علينا العمل من الآن على إبطال كيدهم ومكرهم عبر عدة مستويات:

١- محاربة الإرهاب والطائفية بشكل علني ومباشر وعلى كل الأصعدة، فنحن مستهدفون بهما ولو تلبس بها بعض المغرر بهم منا.

٢- العمل على فضح الإرهاب والطائفية بمختلف أشكالها وصورها ومصادرها، فهناك تلاعب كبير في تضخيم الإرهاب الإسلامي خصوصاً، والديني عموماً، فموسوعة الحروب The Encyclopedia of Wars نفذت دراسة شاملة في عام ٢٠٠٨ تناولت ١٧٦٣ حربًا خلال التاريخ البشري، فتبين أن ١٢٣ حربًا منها كانت ذات طبيعية دينية وتشكل نسبة ٧٪ فحسب!

وبحسب البيانات والإحصاءات الأوروبية فإن نسبة الأعمال الإرهابية التي نفذها مسلمون في أوروبا سنة ٢٠١٣ هي فقط ٢٪ بينما نفذ ٩٨٪ منها غير مسلمين على خلفيات انفصالية أو عرقية أو قومية وجهات يسارية. ولكن بسبب سياسة ودعاية التيار اليميني في أوروبا المعادي للوجود الإسلامي فيها، يعتقد الكثير من الناس هناك وفي العالم بأن «الإرهاب الإسلامي»، هو أكبر تهديد للعالم الغربي، حيث يتم تصويره على أنه تهديد لوجود الغرب نفسه.

٣- يجب تسليط مزيد من الضوء على تلاعب أعداء الإسلام بقضية الإرهاب والطائفية من خلال التشجيع عليها أو صنعها أو رعايتها ودعمها لتشويه صورة الإسلام وابتزاز الدول والمجتمعات الإسلامية، فقد أصبح مكشوفاً للجميع تنفيذ أجهزة المخابرات المحلية لعدد من العمليات الإرهابية لتصفية حسابات سياسية داخلية أو لتمرير قوانين الطوارئ والأحكام العرفية، كما كشف النقاب عن تنفيذ ودعم إيران وحكومة المالكي لكثير من عمليات التفجير في العراق والتي نفذها تنظيم القاعدة من أجل خلق مناخ طائفي يستقطب الشيعة لحضن إيران ويرسخ نفوذها في العراق، كما أن القوى الدولية كروسيا وأمريكا ضالعة في الكثير من العمليات الإرهابية والتي تلصق بالإسلام لتمرير أجنداتهم الخاصة.

٤- نحتاج إلى عمل إعلامي وقانوني وحقوقي كبير تجاه الظلم والعدوان الإرهابي والطائفي الواقع على المسلمين في جهات الأرض الأربع، من بورما شرقاً إلى أفريقيا الوسطى غرباً، ومن البوسنة شمالاً إلى اليمن جنوباً، فالمسلمون ضحية:

للإرهاب اليهودي في فلسطين.

وضحية للإرهاب المسيحي في أفريقيا الوسطى وغيرها.

وضحية للإرهاب البوذي في بورما والصين.

وضحية للإرهاب الهندوسي في كشمير والهند.

وضحية للإرهاب الشيوعي في الصين وغيرها.

وضحية للإرهاب الشيعي في إيران والعراق وسوريا وغيرها.

وضحية للإرهاب العلماني في كثير من دول أوربا.

وضحية للإرهاب المتطرف المنسوب للإسلام.

وضحية للإرهاب الإمبريالي الذي يسعى للسيطرة على ثروات العالم.

٥- السعي لتبديد حالة الخداع باسم الطائفية التي تشهر في وجه الإسلام والقوى الإسلامية المخلصة، حين تسعى للدفاع عن حقوقها رداً على العدوان والأطماع الظالمة للأقليات والفرق في بلادنا، فالطائفية الحقيقية هي استغلال صفة الأقلية أو الطائفة لتحصيل حقوق ليست لهم، بل هي انتقاص من حقوق الغالبية المسلمة.

فليس من العدل المساواة المطلقة بين الأقليات والطوائف والأغلبية، وليس من العدل إجبار الأغلبية على تغيير معتقداتها وشرائعها بما يوافق الأقليات والطوائف، وليس من الحق إجبار الأغلبية المسلمة على الرضوخ للعلمانية حتى الأقليات والطوائف، ثم تمارس العلمانية بطريقة مائلة تكرس كل القوة بيد الأقليات والطوائف فقط لأنها أقليات وطوائف! وطبعاً متى كان المسلمون أقلية في بلد غير مسلم، فليس لهم المطالبة بحقوق الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين.

وختاماً:

والراصد على أعتاب التوقف القسري -بعد العدد القادم بسبب قلة الموارد- نضع بين أيديكم خلاصة هذه الرحلة لعقد ونيف، الإرهاب والطائفية هي الأداة القادمة في حرب الإسلام، وبالوعي والتخطيط والعمل المبادر السليم يمكن أن نبطل كيد الفجار ومكر الكفار.



الوجه الآخر للبوذية... كراهية بلون الزعفران

مجلة لوموند– ترجمة صحيفة التقرير ٧/ ٨/ ٢٠١٥

تدور الأحداث في يونيو ٢٠١٣ في المدينة البورمية ماندالاي؛ إذ تقيّأ الراهب البوذي «ويراثو» الكراهية الّتي يكنّها تجاه الروهينجا أمام صحفيين من مجلّة تايم الأمريكية، والروهينجا مسلمون مضطهدون تعتبرهم بورما مهاجرين غير شرعيين؛ حيث صرّح الراهب الملقّب بـ«بن لادن البوذي» آنذاك: «الوقت ليس مواتيًا لالتزام الهدوء. لقد آن الأوان للانتفاض».

أثار غلاف مجلّة التايم في عددها الصادر يوم ١ يوليو ٢٠١٣ الّذي اعتبر ويراثو «وجه الإرهاب البوذي» حالة ذهول: كيف لدين شهير بسلميّته أن يصدر مثل هذه الخطابات؟ وهل أخطأ الغربيون الّذين جذبتهم مفاهيم اللاعنف والرحمة في تقييم سكينة البوذية الّتي ينظرون إليها من بعيد؟



البوذية والغرب

يحاط تاريخ البوذية والغرب بسوء الفهم؛ ويمتد إلى أكثر من ٢٥٠٠ عام مع الحياة الأسطورية لـ سيدهارتا غوتاما، نجل ملك منطقة نيبال الحالية الّذي فرّ في عمر التاسعة والعشرين من قصر والده للتزهّد في الهند، وأعطت تعاليمه الّتي أحالها شفويًا ثمّ كُتبت في القرن الأوّل قبل الميلاد - «البالية الكنسي»- الحياة إلى البوذية الّتي يتبعها اليوم نحو ٥٠٠ مليون شخص، ولها عدد كبير من المدارس.

وهكذا تختلف بوذية تيرافادا - الأكثر محافظة والمنتمية إلى مدرسة «السيارة الصغيرة» الممارسة في جنوب شرق آسيا- عن الـ «مهابانا» أو «السيارة الكبيرة» الممارسة في الصين وفي شرق آسيا. أمّا الـ فاجرايانا في التبت فتسلّط الضوء من جهتها على التدريبات الروحية، ولكن عندما تناول نيتشه في عام ١٨٩٥ في ألمانيا - بعد شوبنهاور- البوذية في كتاب المسيح الدجّال تجاهل هذه الفروق: كان الأمر بالنسبة له يتعلّق أكثر بنقد المسيحية، دين «الكراهية ضدّ الحواس وضدّ فرح الحوّاس، وضدّ الفرح بشكل عام» في حين أنّ البوذية تندرج ضمن «مناخ لطيف للغاية، قدر كبير من اللطف، وتحرّر كبير من الأعراف»- وفقًا له.

هل هذا هو أصل الرؤية الإيجابية للغرب عن البوذية السلمية؟ يشير ديفيد ماكماهان المدرّس في كليّة فرانكلين ومارس في ولاية بنسلفانيا إلى أنّ «وصولها إلى الغرب حدث في القرن التاسع عشر خلال الفترة الاستعمارية؛ حيث ركّز العديد من البوذيين الآسيويين على اللاعنف الّذي يتناقض مع عنف المستعمر. وكان الغرب المهتمون بهذا الجانب في الأغلب من الليبراليين الذين انتقدوا المسيحية المحافظة، وأملوا أن يجدوا فيها دين سلام وعقلانية». وخلاف الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٧٠ جعلت الثقافة المضادّة لـ «ثقافة البيت» و«الهيبي» المتأثرة بفلاسفة مثل الأمريكي آلان واتس (١٩١٥ – ١٩٧٣) بدورها من البوذية مرجعية روحية، فضلاً عن الهندوسية، أو معتقدات الهنود الحمر.

في عام ١٩٦٣، أضرم الراهب ثيش كوانغ دوك النار في نفسه في سايغون؛ احتجاجًا على القمع الممارس على البوذيين بأمر من رئيس جنوب فيتنام الكاثوليكي فأثّرت الصورة في الرأي العام: الرهبان مستعدون إلى الذهاب حتّى التضحية بأنفسهم دون القيام بأيّ عمل عنف، ولكن أثارت المسألة جدلاً بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣ خلال موجة إحراق رهبان التبت لأنفسهم احتجاجًا على القمع الصيني: إذا ما تدعو البوذية إلى اللاعنف هل يمكن قبول الانتحار؟ تشير عالمة الأجناس المتخصّصة في ثقافة التبت كاتيا بوفتريل إلى أنّ «العديد من التبت الّذين أضرموا النار في أجسادهم تركوا مذكّرات أشاروا فيها إلى أنّ عملهم لا يمثّل بأيّ شكل من الأشكال انتحارًا بالنسبة لهم بل تضحية. أمّا الدالاي لاما الّذي كان جزءًا من المعضلة الّتي يستحيل حلّها؛ فقد أعرب عن عدم اتّفاقه مع إضرام النار في الجسد، ولكن لم يدعو قطّ بوضوح إلى إيقافها».

ترحيل الروهينغا المسلمين

في عام ٢٠٠٧، عندما نزل الرهبان البورميون إلى الشوارع قمعهم المجلس العسكري بوحشية ليظهروا هنا أيضًا كضحايا، وبعد ٨ سنوات تظاهر بعضهم مرّة أخرى، ولكن من أجل المطالبة بغضب بطرد الروهينغا المسلمين، فكيف من الممكن التوفيق بين تعاليم بوذا والشوفينية الضيقة على هذا النحو؟

إنّ التزاوج بين البوذية والقومية العدوانية ليس جديدًا في الواقع؛ ففي تايلاند كان الدين في خدمة الدولة دون أي وازع حتّى عندما برّر الحرب، وهكذا في عام ١٩١٦ عندما استعدت البلاد لإرسال ١٢٠٠ جندي إلى أوروبا للقتال إلى جانب فرنسا والمملكة المتّحدة، ألقى البطريرك الأعلى فاجيرانانا خطابًا غير مسبوق في عيد ميلاد الملك؛ حيث اعتقد أنّ على المرء الاستعداد للقتال والتضحية بالنفس من أجل حماية الفضيلة، ولعلّ المقدّمة الإنجليزية لهذا النصّ أكثر وضوحًا: «إنه لمن الخطأ الاعتقاد بأنّ بوذا قد أدان جميع الحروب».

«تدمير الشوائب»

مهّد هذا الحدث لما أصبح اليوم البوذية التايلاندية: مؤسسة مسيّسة للغاية وهرمية جدًا في خدمة النظام الملكي. وفي يونيو ١٩٧٦، شارك رجال الدين في الحملة الصليبية للبلاد ضدّ الشيوعية حيث صرّح الراهب كيتيفودهو آنذاك بأنّ «قتل الشيوعيين ليست خطيئة»: «هدفنا لا يمكن في قتل الكائنات الحيّة بل إنّ قتل الوحوش واجب على جميع التايلانديين» ومن خلال الاستناد إلى نصّ ديني حيث اعتزم مدرّب الخيل إطلاق النار على الدابّة بعد الفشل في تدريبها، توصّل إلى أنّ بوذا يسمح بـ «تدمير الشوائب».

نـادرًا مـا يلجـأ الرهبـان الـداعون إلى الكراهيـة إلى الـشريعة البوذيـة لتبريـر مـواقفهم، ولكنّهـا تـنصّ علـى اسـتثناءات لعـدم اللجـوء إلى العنـف، وهكـذا فـإنّ نظريـة «القتـل الـرحيم» - الحاضـرة خاصّـة في البوذيـة «الـسيارة الكـبيرة»- تـسمح بقتـل كـائن سـيء في الأسـاس مـن أجـل تحريـره مـن الكارمـا الـشريرة. «لا يـتمّ ذكـر خطّ الـدفاع هـذا في كـثير مـن الأحيـان، ولكنـه كـان حاضـرًا علـى سـبيل المثـال في قـضية مقتـل ملـك التبـت المعـادي للبوذيـة لانـج دارمـا في عـام ٨٤٢"، وفقـًا للباحـث في جامعـة كولومبيـا في نيويـورك برنـارد فـاور؛ إذ مـن بـين التبريـرات الدينيـة الأخـرى للعنـف المقدّمـة في كتابـه «البوذيـة والعنـف» (الـصادر عـن دار لـو كافالييـه بلـو في عـام ٢٠٠٨) يـشير إلى عقيـدة «فـراغ الأشـياء» (إذ لم يوجـد الكـائن الحـيّ، لـن يوجـد القتـل) ونظريـة «القـانون الختامي» (مبادئ بوذا لا تتكيّف مع عصرنا).

الرهبـان القوميـون في سـري لانكـا ليـسوا في منـأى؛ إذ دعـا رهبـان جاثيكـا هـيلا أورومايـا - الحـزب الّـذي تأسـس في عـام ٢٠٠٤- بطريقـة قويّـة إلى قمـع التمـرّد الانفـصالي لنمـور التاميـل - أغلـبهم مـن الهنـدوس- في شمـال الـبلاد، وقـد أدّى النـصر النهـائي للجـيش في عـام ٢٠٠٩ إلى مقتـل ٤٠ ألـف مـدنيّ واليـوم، نـصبّت تماثيـل بـوذا في المنـاطق الهندوسية لتذكير الناس بهزيمة التمرّد.

عنـد الـدعوة إلى كراهيـة المـسلمين الروهينغـا أو عنـد وصـف المبعوثـة الخاصّـة للأمـم المتّحـدة بــ «العـاهرة» عنـد دفاعهـا عـنهم، لم يكـن الراهـب البـورمي ويراثـو هامـشيًّا في بـلاده إذ «أنّـه عـضو الجمعيـة البورميـة للـدفاع عـن الـدين القـومي الّـتي اقترحـت قانونـًا لتنظـيم الزيجـات المختلطـة باسـم حمايـة المـرأة البوذيـة، ومـن المؤكّـد أنـه لـيس في المعارضـة، وحتّـى إن لم يتـضامن معـه بقيّـة الرهبـان التـابعين لـه». وفقـًا لعـالم الأجنـاس المتخـصّص في شـؤون بورمـا بينيـدكت بـراك دو لا باريـار. كمـا أدانـت العديـد مـن الشخـصيات البوذيـة في الخـارج - مـن بيـنهم الـدلال لامـا- تـصريحاته بـشكل لا لـبس فيه.

سوء فهم

هـل يجـب أن نخلـص إلى أنّ البـوذيين الغـربيين قـد أخطـأوا حـول الطبيعـة غـير العنيفـة في الأسـاس لـدينهم؟ يكـشف ديفيـد ماكماهـان أنّ «أغلبيـة البـوذيين في آسـيا يمارسـونه عـن طريـق الـصلاة والطقـوس وعـروض الرهبـان وغيرهـا، في حـين يهتمـون في الغـرب بالتأمّـل والجوانـب الفلـسفية والأخلاقيـة للبوذيـة الّـتي يعتبرونهـا أحيانـًا نمـط حيـاة. إذا اعتقـدوا أنّ بـوذيتهم هـي نفـسها الممارسـة في آسـيا، سـيكون هـذا ضـربًا مـن ضـروب سـوء الفهـم» فهـل تكـون البوذيـة الغربيـة العلمانيـة والمتـسامحة والروحانيـة بدعـة؟ » يـشير ماكماهـان إلى «ظهـور طـرق جديـدة للممارسـة البوذيـة بطريقـة علمانيـة منـذ ١٥٠ عامـًا بمـا في ذلـك في آسـيا فمـا كـان في البدايـة نظـرة خاطئـة أصـبح حركـة». واليـوم لا ينكـر أحـد أنّ هـؤلاء البوذيـون بـالتبنّي بوذيـون «حقيقيـون» علـى طريقتهم.

صلاح الدين ومؤامرات الفاطميين (٨)
مؤامرة قديد القفاص وشيعة حلب والحشاشين

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

ظلّ صلاحُ الدين الأيوبي - رحمه الله- يتعرض للمؤامرات من أنصار الفاطميين وبقاياهم، حتى بعد قضائه على قوّتهم العسكرية، وإخماده ثوراتهم المسلحة المتتابعة، وآخرها تمرد كنز الدولة في جنوب مصر، إذ ظلّت تُحاك هنا وهناك مؤامرات من أطراف عدّة، لكن الهدف واحد: إعادة دولة العبيديين الفاطميين، صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي، والقضاء على صلاح الدين ودولته السنّية الفتيّة.

ويُلاحظ أن الثورات/ المؤامرات الأولى (مؤتمن الخلافة، الجند السودان، الجند الأرمن، عُمارة اليمني) كانت تحاك في القاهرة، عاصمة الدولة، ثمّ بدأت تنتقل إلى الأطراف والأقاليم (عبد النبي بن مهدي، كنز الدولة) وإن كان قد جمع بينها (خاصة بعد الإعلان عن إسقاط دولة الفاطميين وموت آخر حكامهم مطلع سنة ٥٦٧هـ) أن التخطيط والتنفيذ كانا يتمّان مِن قِبل أنصار الفاطميين والمتكسّبين منهم، وليس من الأسرة الفاطمية الحاكمة، ذلك أن صلاح الدين بعد إسقاطه للدولة الفاطمية، قام بالتحفظ على أعضاء الأسرة الحاكمة، ووضعهم تحت الإقامة الجبرية، وفرّق بين الرجال والنساء لئلاّ يتناسلوا.

في هذه الحلقة من السلسلة نعرضُ عددا من المؤامرات التي تعرض لها صلاح الدين، ليس فقط مِن قبل أنصار الفاطميين الإسماعيليين، بل من قِبل طوائف مختلفة من الشيعة، ومن بلدان عديدة، ذلك أن إضعاف أهل السنة ومعاداتهم لم يكن حكرا على طائفة الشيعة الإسماعيلية، بل هو أمر تكاد تشترك فيه جميع فرق الشيعة، وهو الأمر الذي يحصل الآن من اجتماع الشيعة على اختلاف مذاهبهم وبلدانهم على أهل السنة في العراق وسوريا واليمن والبحرين ولبنان، وفي غيرها من البلدان، فقد رأينا رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي (الشيعي الاثني عشري) ينحّي خلافاته جانبًا مع الرئيس السوري بشار الأسد (الشيعي النصيري) ويلتقيان مع رئيس حزب الله الشيعي اللبناني حسن نصر الله، وقائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني لمحاربة الشعب السوري السنّي وقمع ثورته.

ورأينا الشيعةَ الإثني عشرية يتقاطرون من أقاصي العالم، من أفغانستان وباكستان وطاجكستان وغيرهما، ويشكّلون الميليشيات المسلحة الحاقدة لمحاربة الشعب السوري وإنقاذ النظام الشيعي النصيري، كما رأينا بعض الطوائف والفرق الأخرى تضع يدها في يد الشيعة والعلويين النصيريين ما دام العدو هو نفسه: أهل السنة.

(*) كاتب أردني.

مؤامرة قديد القفاص

ظهـر قديـدُ القفـاص في مدينـة الإسـكندرية، في شمـال مـصر، وقـد تحـدّث صـلاح الـدين عـن قديـد القفـاص هـذا وخطـره في رسـالة بعثهـا إلى نـور الـدين زنكـي، يبـيّن لـه مـا يتعـرض لـه مـن مـؤامرات مـن الفـاطميين وأنـصارهم، وممّـا جـاء في الرسـالة: «... إن ثغـر الإسـكندرية علـى عمـوم مـذهب الـسنة فيـه، اطلـع البحـث أن فيـه داعيـةً خبيثـاً أمـرُه، محتقـراً شخـصُه، عظيمـاً كفـرُه، يُـسمى **قديـدا القفـاص**، وأن المـذكور مـع خمولـه في الـديار المـصرية قـد فـشت في الـشام دعوتُـه، وطبقـت عقـولَ أهـل مـصر فتنتُـه، وأن أربـاب المعـايش فيهـا يحملـون إليـه جـزءا مـن كـسبهم، والنـساء يبعـثن إليـه شـطرا وافيـا مـن أمـوالهن، ووُجـدت في منزلـه بالإسـكندرية عنـد القـبض عليـه والهجـوم إليـه كُتـب فيهـا خلـع العـذار، وصـريح الكفـر الـذي مـا عنـه انـدفاع واعتـذار، ورقـاع يخاطَـب فيهـا بمـا تقـشعرّ منـه الجلـود، **وكـان يـدّعي النـسب إلى أهـل القـصر**، وأنـه خـرج منـه طفـلا صـغيرا، ونـشأ علـى الـضلالة كـبيرا، وبالجملـة فقـد كفـي الإسـلام أمـره، وحـاق بـه مكـره، وصـرعه كفره».

يتـضح مـن رسـالة صـلاح الـدين الـسابقة أن القفـاص انتـشرت دعوتـه الخبيثـة في الـشام ومـصر، ورغـم أنـه لم يكـن صـاحب تنظيـم عـسكري أو قائـد تمـرد كمـا الـسابقين، إلاّ أنـه غـدا كالخلايـا النائمـة الـتي تتحـيّن الفرصـة للانقـضاض علـى المـشروع الـسّني، وأن أصـحاب الحـرف والـصناعات (المعـايش) وكذلك النساء يموّلونه بأموالهم.

وممـا أشـار إليـه صـلاح الـدين أيـضاً ظهـور قديـد القفـاص في مدينـة الإسـكندرية، الـتي ظلّـت متمـسّكة بـسنّيتها طيلـة حكـم الفـاطميين الإسمـاعيليين لمـصر، ولـذا فظهـوره في مدينـة سُـنّية يحمـل دلالـة خطـيرة، وإزاء انحرافـه وخطـره قتلَـه صـلاح الـدين وأراح الـبلاد والعبـاد مِـن شـرّه، وكـان ذلـك في سنة ٥٦٩هـ، في الفـترة نفـسها الـتي اكتـشف فيهـا مـؤامرة الـشاعر عُمـارة الـيمني، وسـبق تناولهـا في إحدى حلقات هذه السلسلة.

مؤامرة شيعة حلب

وتـتلخص هـذه المـؤامرة في أن دولـة نـور الـدين زنكـي تضعـضعت بعـد وفاتـه في شـوال مـن سـنة ٥٦٩هـ، وسـبب ذلـك تـولي ابنـه الملـك الـصالح إسماعيـل الحكـم بعـده، وكـان آنـذاك طفـلا صـغيرا، فـتحكّم فيـه وفي الدولـة الأمـراء وبعـض أقاربـه، وخاصـة ابـن عمّـه، سـيف الـدين غـازي، حـاكم الموصـل، وسـاروا فيهـا سـيرةً خبيثـة فنـشروا المنكـرات والخمـور، وهـادنوا الـصليبيين ودفعـوا الأمـوال إلـيهم، بخـلاف مـا كـان عليـه نـور الـدين رحمه الله، من الصلاح والعدل وجهاد الصليبيين.

ولمّـا رأى صـلاح الـدين (نائـبُ نـور الـدين آنـذاك علـى حُكـم مـصر وأبـرز قـوّاده) الانحـراف الـذي طـرأ علـى الدولـة، والخطـر الـذي يتهـددها مـن الـصليبيين، الـذين أفنـى نـورُ الـدين وصـلاحُ الـدين حياتَهمـا في جهـادهم، عـزم صـلاح الـدين علـى المـسير إلى بـلاد الـشام للاسـتيلاء عليهـا وحفظهـا مـن الـصليبيين (بعـد أن أرسـل إلى الأمـراء يحـذرهم مـن مـسلكهم المتخـاذل دون جدوى).

وبالفعـل بـدأ صـلاح الـدين يـسيطر علـى مـدن الـشام الـتي كانـت بحـوزة الملـك الـصالح والأمـراء المـتحكّمين بـه، وكـانوا قـد قـاموا بالانتقـال إلى مدينـة حلـب، في الـشمال، واسـتنفروا أهلـها لمحاربـة صـلاح الـدين، وكـان ذلـك في سـنة ٥٧٠هـ. ومِـن ضـمن الـذين اسـتعدّوا لمحاربـة صـلاح الـدين، وأبـدوا الحماسـة في ذلـك: شـيعة حلـب، الـذين يعـود وجـودهم في المدينـة إلى أيـام الدولـة الحمدانيـة الـشيعية الـتي قامت في حلب والموصل خلال الفترة ٢٩٣- ٣٩٤هـ.

ولم يكـن انـضمام الـشيعة في حلـب لقتـال صـلاح الـدين «مجّانيـا» ذلـك أنهـم اسـتغلوا الظـرف واشـترطوا علـى المَلـك الـصالح جملـة شـروط، تـدور حـول إظهـار مـذهبهم، الـذي لم يكونـوا يجـرؤون علـى إظهـاره أيـام أبيـه، نـور الـدين زنكـي، فقـد اشـترط شـيعة حلـب علـى الملـك الـصالح أن يُعـاد الأذان بـ (حـيّ علـى خـير العمـل)، وأن يُـذكر في الأسـواق، وأن يكـون لهـم في الجـامع الجانـبُ الـشرقي، وأن تُـذكر أسمـاء الأئمـة الاثـني عـشر بـين يـدي الجنـائز، وأن يكبّـروا

علـى الجنـازة خمسـاً، وأن تكـون عقـود أنكحـتهم إلى الـشريف الطـاهر أبـي المكـارم حمـزة بـن زهـرة الحـسيني، فـأجيبوا إلى ذلـك كلـه. فـأُذّن في الجـامع وغيره بسائر البلد بـ (حيّ على خير العمل).

لقـد اسـتلهم شـيعةُ اليـوم سـيرةَ أسـلافهم في حلـب، فكـم اسـتغلوا الخلافـات بـين أهـل الـسنة، بـل كـم عملـوا علـى إذكائهـا واسـتثمارها، وعلـى الإيقـاع بـين الحكّـام والعلمـاء، وكـم دفعـوا المـالَ إلى فئـات مـن أهـل الـسنة كـي يُظهـر الـشيعة طقوسَـهم وينـشروا مـذهبهم وعقيـدتهم في الـبلاد الـسنّية، وللأسـف كـم يوجـد في زماننـا هـذا مـن (الملـك الـصالح إسماعيـل) والأمـراء المتـسلّطين عليـه، الـذين يـضعون أيـديَهم في أيـدي الـشيعة مـن أجـل مـصالح شخـصية ضـيّقة وملـك زائـل، بـدلاً مـن أن يمـدّوها إلى إخـوانهم مـن أهـل الـسنة، لا سـيّما الحريـصين علـى نـشر الإسـلام ورفعتـه، وحمايـة بـلاد المسلمين مـن الأخطـار الداخلية والخارجية.

مؤامرات الحشاشين

ولمّا عجـز حكـام حلـب عـن محاربـة صـلاح الـدين، توجّهـوا إلى طائفـة شـيعية أخـرى، هـي طائفـة الحـشاشين، الـتي تُعـرف أيـضا بالحشيـشية، وهـي فرقـة شـيعية إسماعيليـة انفـصلت عـن الدولـة الفاطميـة بـسبب الخـلاف حـول الإمامـة، وكوّنـت دولـة في أجزاء من بلاد فارس والشام.

وقـد اشـتهر الحـشاشون بـاحتراف القتـل والاغتيـالات الـسياسية والدينيـة، واغتـالوا عـددا كـبيرا مـن الخلفـاء العباسـيين والـوزراء وقـادة الأمـة الـسياسيين والعـسكريين، وهـذ المـرّة وجّهـوا أنظـارهم لاغتيـال صـلاح الـدين، فكانـت أولى المحـاولات خـلال حـصار صـلاح الـدين لحلـب سـنة ٥٧٠هـ، إذ أرسـل زعـيم الإسماعيليـة الحـشاشين في بـلاد الـشام، شـيخ الجبـل سـنان، بعـضَ أتباعـه لقتـل صـلاح الـدين، فاسـتطاعوا التـسلل لخيمتـه، وقتلـوا بعـض الأمـراء، لكـن صـلاح الـدين لم يُـصَب بـأذى. أما الحشاشون فقُبض عليهم، وقُتِلوا عن آخرهم.

وفي العـام التـالي، كـرّر الحـشاشون محـاولتهم، خـلال محاصـرة صـلاح الـدين لحـصن عـزاز في شمـال حلـب، إذ وثـب عليـه ثلاثـة مـنهم أو أربعـة، وهـم متنكّـرون في زي الجنـد، وقـاومهم صـلاح الـدين مقاومـة شـديدة[1]، وأبـدى شـجاعة نـادرة، لكنـه أُصيب بجروح، ومما حماه اللّه به ارتداؤه للدروع.

وإزاء ذلـك الغـدر، اشـتد حنـق صـلاح الـدين علـى أهـل حلـب، وصـمّم علـى فتحهـا، كمـا أنـه توجّـه إلى ديـار الحـشاشين، فحاصـر حـصنَهم مـصياف، فقتـل وضـرب وسـبى، وأخـذ أبقـارَهم، وخـرّب ديـارهم، إلى توسّـط فـيهم خالـه، شـهاب الـدين محمـود بـن تِكـش، حـاكم حمـاة، وكـانوا جيرانـه، فتوقـف عـن قتـالهم وصالَحهم.

ويـذكر المؤرخـون أسـبابا أخـرى لمـصالحة صـلاح الـدين للحـشاشين، منهـا اضـطراره لـصدّ هجمـات الـصليبيين علـى بـلاد الـشام، الـذين اسـتغلوا غيابـه، فهاجموا بعض أنحائها كالبقاع.

والعجيـب أنـه في مقابـل العـداء الـذي كـان يكنّـه الإسمـاعيليون الحـشاشون لأهـل الـسنة وصـلاح الـدين، إلاّ أنهـم كـانوا «بـردا وسـلاما» علـى أعـداء الإسـلام آنـذاك، وعلـى رأسـهم الـصليبيون، بـل إنـه لـيس مـن المبالغـة القـول بـأن الحـشاشين «تخصـصوا» باغتيـال قـادة الجهـاد الإسـلامي ضـد الـصليبيين، كمـا فعلـوا مـع الأمـير مـودود، حـاكم الموصـل، سـنة ٥٠٧هـ، وهـو أحـد الـذين تـصدّوا للحمـلات الـصليبية في بداياتها، وكما فعلوا بعد ذلك مع صلاح الدين.

للاستزادة:

١- ابن كثير، البداية والنهاية.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ.

٣- ابـن واصـل، مفـرّج الكـروب في أخبـار بـني أيوب.

٤- شـاكر مـصطفى، صـلاح الـدين الفـارس المجاهد، والملك الزاهد المفترى عليه.

(١) يمكن الرجوع إلى هذا المقال لمزيد من التفاصيل: هيثم الكسواني، محاولة قتل صلاح الدين الأيوبي ٥٧١هـ، مجلة الراصد، العدد الأول، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5294





الحرب الشيعية الناعمة... الإعلام نموذجاً

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

تمهيد: مما لا يختلف فيه الناس اليوم أن الحرب الشيعية الإيرانية على الأمة الإسلامية أصبحت مكشوفةً وعلنيةً بعد أن كانت مستترة نوعاً ما، أو كان ينكرها كثير من الناس إما طمعاً في اعتدال مسار الشيعة وإيران ورغبة في تحقيق الوحدة الإسلامية ولو على حساب العقيدة والمصالح المنتهكة من قبل إيران، وإما بسبب الهوى أو العمالة لإيران والشيعة فكرياً أو مادياً.

ولكن اليوم ومع اعتراف رئيس الجمهورية الإيرانية حسن روحاني بالتدخل في أربع دول عربية بحجة محاربة الإرهاب، حين صرح في خطاب ألقاه في الذكرى السادسة والثلاثين للثورة الإسلامية الإيرانية وقال فيه: إن «بسط السلام والاستقرار واستئصال الإرهاب في الشرق الأوسط، يمر عبر الجمهورية الإسلامية». وأضاف: «رأيتم أن الدولة التي ساعدت شعوب العراق وسوريا ولبنان واليمن لمواجهة المجموعات الإرهابية هي جمهورية إيران الإسلامية»[1].

وقد شرح حقيقة هذا التدخل الإيراني مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني، علي رضا زاكاني، بقوله: إن «ثلاث عواصم عربية أصبحت اليوم بيد إيران، وتابعة للثورة الإيرانية، وأن صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي في طريقها للالتحاق بالثورة الإيرانية»[2].

وهو ما عبر عنه علي أكبر ولايتي، مستشار المرشد الإيراني ووزير الخارجية الأسبق بقوله: «نفوذنا أصبح يمتد من لبنان إلى اليمن»[3].

وإذا كان العدوان والحرب الشيعية والإيرانية الطائفية على أهل السنة اليوم في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين هي حرب عسكرية بكل معنى الكلمة، قتل فيها مئات الألوف من المسلمين السنة، وأصيب وهجر وسجن وعذب فيها ملايين الناس، واغتصبت وسجنت فيها ألوف الحرائر، وهدمت ونهبت عشرات بل ومئات وألوف البيوت والحارات والقرى والمدن والمحافظات السنية، فإن الحرب الشيعية والإيرانية الناعمة قائمة منذ عشرات السنين وهي التي مهدت لنجاح إيران في إسقاط العواصم العربية الأربع في يدها.

ولن تقف إيران عند هذا الحد بل لا يزال طموحها يمتد ليشمل جميع الدول العربية، فها هو الكاتب الإيراني محمد صادق الحسيني يكتب عن احتلال الحوثيين لصنعاء ويصف عبد الملك الحوثي: «بأنه سيد الجزيرة العربية وخميني القرن الواحد والعشرين»[4]، أما أحد انصار الحوثيين فقد كتب على صفحته في موقع الفيس بوك:

(*) كاتب أردني.

(١) صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠١٥/٢/١٢.

(٢) موقع أخبار عربية ٢٠١٤/٩/٢٢.

(٣) موقع المشهد اليمني ٢٠١٤/١٢/١٦.

(٤) موقع الخبر اليمني، ٢٠١٥/١/٢٧.

«موسم الحج القادم سنطوف بأسلحتنا في الحرم المكي»[1] ، في دلالة واضحة على نية التمدد ومواصلة العدوان.

وقبل العدوان العسكري تم عدوان إعلامي ناعم على شعوب هذه الدول وسائر البلاد ، في تطبيق لاستراتيجية الحروب الناعمة.

مفهوم الحرب الناعمة

بحسب موقع ويكبيديا فإن مفهوم الحرب الناعمة هو انبثاق من مفهوم القوة الناعمة (بالإنجليزية: Soft power) وهو المفهوم الذي صاغه جوزيف ناي من جامعة هارفارد والذي كان مساعدا لوزير الدفاع في حكومة بيل كلينتون ورئيس مجلس المخابرات الوطني، لوصف القدرة على الجذب والضم دون الإكراه أو استخدام القوة كوسيلة للإقناع.

مؤخراً تم استخدام المصطلح للتأثير على الرأي الاجتماعي والعام وتغييره من خلال قنوات أقل شفافية نسبياً والضغط من خلال المنظمات السياسية وغير السياسية. إذ قال جوزيف ناي إنه مع القوة الناعمة فإن «أفضل الدعايات ليست دعاية»، موضحاً أنه وفي عصر المعلومات، تعد «المصداقية أندر الموارد».

صاغ جوزيف ناي هذا المصطلح في كتابه الصادر عام ١٩٩٠ بعنوان «مُقدرة للقيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الأميركية». ثم قام بتطوير المفهوم في كتابه الصادر عام ٢٠٠٤ بعنوان «القوة الناعمة: وسائل النجاح في السياسة الدولية».

إدراك إيران لأهمية الإعلام في الحرب الناعمة: القيادة الشيعية والإيرانية أدركت خطورة ومركزية مفهوم الحرب الناعمة، وكيف أنها يمكن أن تلحق بها الضرر الشديد، فلذلك سعت لفهمها وتحذير المنظومة الشيعية والإيرانية من أخطارها في وقت مبكر لتفشل المشروع الأمريكي ضدها[2]، ومن ثم استطاعت توظيف الحرب الناعمة لمشروعها الطائفي في البلاد العربية والإسلامية.

وقد قام موقع دار الولاية على شبكة الإنترنت بإعداد ملف خاص بعنوان «رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة»[3] ، قال في مقدمته: «يعد سماحة الإمام القائد الخامنئي (دام ظله) من أكثر الشخصيات الإسلامية والعالمية التي استخدمت مصطلح «الحرب الناعمة» في الآونة الأخيرة، محذرا من الوقوع في شراكها، ومنبهاً من أفخاخها، ومبينا سبل مواجهتها، بما لا يقل عن خمسة عشر خطابا في خمس عشرة مناسبة منذ الانتخابات الرئاسية التي جرت في إيران في العام ٢٠٠٩ وحتى تاريخ زيارة سماحته إلى مقر وزارة الاستخبارات الإيرانية في العام ٢٠١١، وفي كل هذه الخطابات حدد وشخّص سماحته الحرب الناعمة كمصدر تهديد رئيسي للنظام الإسلامي في إيران وللصحوة الإسلامية في المنطقة، معتبرا أن هذه الحرب أصبحت الأمل الأخير للأعداء لمواجهة نمو وتقدم النظام الإسلامي في إيران والصحوة الإسلامية في المنطقة، ومؤكدا بعبارة ذهبية «إن هذه الحرب ستستمر حتى يصل العدو إلى اليأس ويصل مستوى

---

(١) مقال وسام الكبيسي «بعد صنعاء إلى أين سيتجه قطار تصدير الثورة الإيرانية؟، على موقع الخليج أونلاين ٢٠١٥/٢/١٣.

(٢) جاء في ملف «رؤية الإمام الخامنئي نحو الحرب الناعمة»: «وقد حدد كل من جوزيف ناي وهو نائب سابق لوزير الدفاع الأمريكي وجيمس غلاسمان وهو مدير مركز جورج بوش الابن للدراسات والوكيل السابق لهيئة حكام البث الإعلامي الحكومي ومايكل دوران وهو نائب مساعد وزير الدفاع للشؤون الدبلوماسية سابقا وغيرهم من المنظرين الاستراتيجيين الذين عالجوا الحالة الإيرانية السيناريوهات الموضوعة أمام القيادة الأمريكية للتعامل مع النظام في إيران حاصرين إياها في أربعة احتمالات:

١. المواجهة العسكرية المكلفة جدا بسبب جغرافية وتضاريس إيران وإمكاناتها.
٢. التسوية السياسية، وهذا الأمر غير مرغوب فيه من طرف الولايات المتحدة والغرب وإسرائيل.
٣. الحرب الناعمة بهدف «تغيير شخصية القيادة الإيرانية» وهو الحل الذي رجحه أغلب الخبراء.
٤. ترك إيران تتقدم في هذه المنطقة المهمة من العالم وهذا الأمر مستحيل».

لكن يبدو أن السياسة الإيرانية الناعمة جعلت الرئيس الأمريكي باراك أوباما ينفذ المستحيل!!

(٣) على الرابط التالي: http://alwelayah.net/?p=12722

أمله بالفوز إلى درجة قريبة من الصفر».

وقد أحصينا ما لا يقل عن أربعين خطابا لقادة بارزين في النظام الإسلامي في إيران حول التحذير من خطورة الحرب الناعمة ابتداء برئيس الجمهورية ووزير الخارجية السابق وقادة الحرس الثوري الإسلامي وبعض الوزراء وبعض المرجعيات الدينية في قم المقدسة، ما دل على الأهمية التي يوليها قادة الجمهورية الإسلامية لأبعاد هذه الحرب، وهذا ما يضفي على هذه الدراسة أهمية خاصة كونها تكشف عن منهج سماحة القائد ورؤيته في هذا المجال. فضلا عن أنها تكشف عن المشروع والمنهج الفكري لسماحته في المجالات الثقافية والإعلامية والسياسية بالنظر إلى الترابط الوثيق والمنهجي للخطابات».

وحول أبرز أركان الحرب الناعمة وكيفية عملها، والذي يدل على عمق فهم الشيعة والإيرانيين لإدارة الحرب الناعمة والإعلامية تحديداً، جاء في ملف دار الولاية ما يلي:

«إن تنفيذ وظائف الحرب الناعمة ذات الطبيعة الحساسة ووضعها موضع التطبيق يتطلب موارد وطاقات وجهودا بشرية كبيرة، وتخطيطا وتحليلا سياسيا لتوجيه الأحداث، ومراكز أبحاث وأجهزة توفر المعلومات والمعطيات، وإمكانات تكنولوجية واتصالية وإعلامية ضخمة، ومهارات وخبرات وصبرا استراتيجيا - نفساً طويلا - وغرفة عمليات تتولى التنسيق لأجل تضافر مجموعة من العناصر والأركان كي تكتمل وتتوفر شروط نجاح هذه الحرب نلخصها بما يلي:

- مواد ورسائل وأفكار وشعارات سياسية وإعلامية وثقافية ودبلوماسية.
- بناء علاقات وتوفير وسطاء يقومون بوظيفة تسويق وترويج الأفكار والأخبار والتحليلات والتوجيهات السياسية والثقافية والإعلامية...
- تجهيز وتخصيص منافذ وبوابات وقنوات إعلامية وتواصلية وسفارات.
- بناء علاقات مع كوادر إعلامية ومنظمات وشبكات إنترنت ونخب وقوى ومؤسسات عامة وقوى مجتمع مدني وشخصيات ذات تأثير عام.
- جمهور ونخب تتلقى وتستجيب لمضمون مضمون هذه المواد والرسائل.
- غرفة عمليات موحدة تنسق الأنشطة والاتصالات وتوزع الأدوار والشعارات وفقا لتخطيط سياسي عالي المستوى.
- ظرف ومناسبة وبالعموم فرصة ضمن سياق ملائم.

فالقوة الناعمة تعتمد على المعادلات الآتية: «من يتواصل مع من، وتحت أي ظرف» ومن هي الرواية الفائزة بنظر الجمهور والرأي العام، لأن المنتصر في الحرب اليوم هو من تفوز روايته للأحداث». وهذا ما نراه اليوم بقوة في أيام الثورات العربية، حيث يندر أن يأتي يوم لا نسمع فيه كلاما عن الشرعية ونزع الشرعية عن هذا النظام وذاك الرئيس، والرواية الرسمية الفلانية ورواية المعارضة المقابلة، وهذا جانب من جوانب الحرب الناعمة.

وقضية الظرف التي تحدث عنها جوزيف ناي هي جوهر الحرب الناعمة، لأن الإعلام والثقافة والدبلوماسية وهي أهم أدوات القوة الناعمة تحتاج كي تتحول إلى عملية مؤثرة في البيئة السياسية للخصم إلى سياق ومناسبة خاصة وظرف خاص.

كما إن نوعية الطرف الذي يتولى عمليات الحرب الناعمة مهم جدا، فإذا كان طرفا مباشرا أمريكيا فحساسية الجمهور تجاهه أكبر، وبناء عليه فتمرير الرسائل بطريقة غير مباشرة أهم من الظهور المباشر الذي أصبحت تتحسس منه النخب والجماهير، ولهذا نرى منظر الحرب الناعمة قد ركز كثيرا على ضرورة العمل عبر «الوكلاء» فهذا أهم وأفعل من مباشرة التأثير العلني، وهذا جزء من الطبيعة المخادعة والماكرة للحرب الناعمة لأن «أفضل الناطقين باسم الأفكار والأهداف الأمريكية هم غير الأمريكيين، أي الوكلاء المحليون.

وهناك مثال ممتاز على هذا الأمر، هو ما يحصل بين لوس أنجلس وطهران حيث يذيع المهاجرون الإيرانيون برنامجا تلفزيونيا برعاية خاصة موجها إلى الرأي العام الإيراني لأجل الإصلاح، وينبغي على أمريكا تفعيل علاقاتها مع

محطتي الجزيرة والعربية» فإذا كان بالإمكان الاستفادة من صوت معارض يلبس اللباس الوطني والقومي والديني في إيران ويشتم النظام ويفند ولاية الفقيه وينكر إنجازات النظام الإسلامي فالترويج له أفعل من قيام أي مسؤول أمريكي بهذه المهمة.

وإذا كانت القناة التي تبث الدعاية المعادية هي قناة لها غطاء إيراني أو عربي أو إسلامي فهذا أهم بأضعاف مضاعفة من أن يقوم بهذا الدور قناة أمريكية، ويمكن لمن يريد اكتشاف خبث هذه السياسة مراجعة وملاحظة الفرق في تأثير القنوات التي تروج للسياسات الأمريكية بصورة مباشرة ورسمية كقناة الحرة الأمريكية والقنوات التي تعمل بغطاء عربي وإسلامي كقناتي الجزيرة والعربية!!.

وتحتاج الحرب الناعمة إلى عملية تنظيمية معقدة، لإدارة وتركيز وتنظيم الحملات ولأجل اختيار التوقيت وتنسيق الجهود وفق الظرف الملائم الذي تحدثنا عنه، وهذا يحتاج إلى قيادة وغرفة عمليات موحدة تتولى منع تضارب السياسات والتحركات والتنسيق بين مختلف الأنشطة والأذرع التي تتولى تنفيذ هذه العمليات، حيث أن هناك عشرات الجهات تتولى الحرب الناعمة على إيران وحدها، وقد أحصى منها وزير الاستخبارات الإيراني الشيخ حيدر مصلحي ٨٠ مؤسسة وقناة.

كما أن الحرب الناعمة تعتمد على رفع شعارات ومطالب الناس واستغلالها، فلا يمكن للحرب الناعمة أن تنجح إذا ما رفعت شعارات وتبنت سياسات معادية بالظاهر للمصالح الإيرانية أو الإسلامية أو اللبنانية أو السورية، فالقوة الناعمة بالعمق تقوم على رفع شعارات وقضايا مرغوبة ومحبوبة والبحث عن قيم مشتركة مع الطرف المستهدف مثل (الديمقراطية / حقوق الإنسان / السلام / الحريات / الفرص / الازدهار / الاستقرار / إلخ) وهذا ما أكده جوزيف ناي بقوله الخطير: «لا يمكن لأي حملة تواصل استراتيجي مهما كبرت وتوسعت ولا لأي قوة ناعمة أن تؤثر وهي تروج شعارات ومطالب غير مرغوب بها شعبيا في ساحة الخصم».

إذاً هذه هي أهم العناصر والأركان لنجاح عمليات الحرب الناعمة كما حددها كل من جوزيف ناي ومايكل آيزنشتات، فتأدية الوظائف التي ذكرناها سابقا يحتاج إلى «بناء حملات قد تستغرق أعواما وسنوات، وليس مجرد أياما أو أشهرا- فتكتيكات وأساليب الاتصال الاستراتيجي غير المباشر أي بواسطة الوسائل الإعلامية والالكترونية والدبلوماسية والخفية للتأثير في جدول الأعمال السياسي لبلد آخر تحتاج إلى تطوير مجموعة من المواضيع والشعارات على طريقة الحملات الإعلانية والانتخابية والسياسية في الغرب، ويستلزم ذلك تخطيطا وأحداثا رمزية وظرفية ومد اتصالات وبناء علاقات على مدى سنوات لا تقل عن سنة - كي نتمكن من إبراز هذه الشعارات والمواضيع المركزية والدفع بالسياسة المطلوبة من قبل أمريكا - قدما إلى الإمام».

وبعد تشكيل التصورات العامة والبيئة السياسية لساحة الخصم يتهيأ المسرح للكثير من الأحداث والأعمال والإجراءات اللاحقة من قبل الوكالات الأمنية والاستخباراتية والعسكرية والسياسية وتبدأ النتائج بالظهور عادة خلال المناسبات والأحداث المؤثرة كالانتخابات مثلا حيث نشهد انعكاسات هذه التأثيرات والعمليات، لأن العدو لن يجد أفضل منها فرصة لاستغلالها والنفوذ من خلالها لتحريك عملائه وقواعده وسياساته وأجهزته، فالقاعدة التي تعمل عليها فلسفة الحرب الناعمة هي القدرة على اجتذاب الناس نحو البيئة والسياق والفخ السياسي المستهدف في إطار وغلاف وظرف ديمقراطي أو تحت شعار مطلبي أو إصلاحي ملائم وهذا أسهل من إرغام الناس على تنفيذ التوجيهات المباشرة بصورة فجة وصريحة وكخلاصة «إدارة دفة الأحداث بأسلوب ناعم وبدون أي بصمات».

وقد أفصح مؤخرا عن هذه المنهجية وزير الدفاع الأمريكي الجديد والمدير السابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية ليون بانيتا في مقابلة

تلفزيونية خلاله تعليقه على سؤال حول موضوع دعم أمريكا للمعارضة والثورة المضادة في إيران: «ينبغي أن نحاول اتخاذ كل خطوة ممكنة لدعم تلك الجهود، لكن في الوقت نفسه علينا أن نحلل كل موقف للتأكد من أننا لا نفعل شيئا يثير ردود أفعال سلبية أو يقوض تلك الجهود».

ومن هنا إشارة سماحة السيد القائد أعزه المولى إلى حساسية هذه النقطة فقال: «الحرب الناعمة ترفع شعارات ودعايات محقة بالظاهر ولكنها باطلة في الباطن وتخلط الحق بالباطل، وللأسف فإن البعض يكرر دعايات وشائعات العدو عن قصد أو عن جهل».

ومن يتابع الأداء الإعلامي لإيران في عدوانها على الشعب السوري واليمني يدرك كم نجحت إيران في تطبيق تكتيكات الحرب الإعلامية الناعمة.

حزب الله ومفهوم الحرب الناعمة: وهذا المفهوم للحرب الناعمة نجده نفسه لدى وكلاء إيران كحزب الله، وقد عرف بالحرب الناعمة نعيم قاسم نائب حسن نصر الله زعيم الحزب في ندوة بعنوان «كيف نواجه الحرب الناعمة»[1].

وعرفها نعيم قاسم بـ «أنها القدرة للحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية، كما أنها تعني التلاعب وكسب النقط على حساب جدول أعمال الآخرين بدون أن تظهر بصمات هذا التلاعب، وفي الوقت نفسه منع الآخرين من التعبير عن جدول أعمالهم وتفضيلاتهم وتصوراتهم الخاصة، وهي علاقات جذب وكراهية وحسد وإعجاب».

وحول الفرق بين الحرب الناعمة والحرب النفسية قال: «في الأساليب ترتكز الأولى على الاستمالة والجذب، من دون أن تظهر للعيان أو تترك أي بصمات، في حين أن الثانية: تقوم على إرغام العدو وتدمير إرادته ومعنوياته بصورة شبه مباشرة وعلنية».

أما الوسائل التي تستخدم في هذه الحرب فهي:

أولا: الإعلام والاتصالات التي لها وظيفة في التكرار وضخ المعلومات الكثيفة للتأثير على الشخصيات والناس، لتصبح الحقيقة التي يجب الالتزام بها.

ثانيا: تلفيق الحقائق.

ثالثا: التبعية الفكرية والثقافية.

رابعاً: الربط السياسي بالمصالح من خلال الدعم المالي والاقتصادي والعسكري». أ.هـ

وبعد هذا الاستعراض للوعي الشيعي والإيراني بالحرب الناعمة، لن نستغرب إذا وجدنا معدي تقرير الحرب الناعمة في رؤية الخامنئي يقدمون التوصية التالية:

«ولهذا ينبغي تأسيس مراكز أبحاث وكليات ومعاهد لدراسة الحرب الناعمة وتدريب كوادر على أسس هذه الحرب وتخريج عناصر وضباط وقادة يقاتلون في جبهات هذه الحرب، وهذا الأمر تحدث عنه الإمام القائد أعزه المولى عندما شبه أساتذة الجامعات ومراكز البحث العلمي والطلاب المخلصين وعلماء الدين بأنهم قادة وضباط جبهة الحرب الناعمة، وهو كان تشبيها واقعيا ميدانيا وليس تشبيها مجازيا أدبيا أو بلاغيا».

تطبيق الشيعة وإيران الخميني للحرب الناعمة باستخدام الإعلام

مركزية الإعلام في السياسة الشيعية المعاصرة: يمكن التدليل على مركزية الإعلام في السياسة الشيعية المعاصرة، من خلال النقاط الثلاث التالية:

١- اعتماد ثورة الخميني على الدعاية الإعلامية من خلال أشرطة الكاسيت التي كانت تنقل خطب الخميني لعامة الناس، حتى سميت ثورة الكاسيت، وقد جذبت أنصارا كثرا للثورة وألهبت حماس الجماهير حتى أسقطوا حكم الشاه وعاد الخميني منتصراً.

وقد تميزت خطابات الخميني[2] تلك بالتركيز على الشاه فقط دون استعداء الآخرين في الداخل (الجيش والجنود) أو في الخارج كالغرب، بل سعى إلى أن يخاطب الجنود ويكسبهم لصفه مما فتح

(١) موقع شبكة المعارف الإسلامية، http://www.almaaref.org/pagedetails.php?supcat=6&pageid=37

(٢) انظر كتاب دوائر نفوذ الولي الفقيه، د. يوسف محمد الشيخ، إثراء للنشر والتوزيع، عمان ط١، ٢٠١٥، صفحات:٧٣، ٧٩، ١٠٣، ١١٢، ١٣٣.

المجال أمامه للانتشار ولم يشكل جبهة مضادة له، كما أنه حرص في خطاباته تلك على تقديم صورة البديل القادم بشكل جذاب وجميل وبأنه عصر الحرية والعدل، مما يدل على دهاء إعلامي خطير، بالطبع كل وعود الخميني للشعب وتطميناته للجيش كانت سرابا وأكاذيب، فقد نصب المشانق لقادة وجنود الجيش، وأدخل الشعب الإيراني في حالة من الضنك والضيق الشديد.

٢- ربط مسؤولية الإشراف العام على جهاز الإعلام في إيران بالمرشد الأعلى من خلال الدستور الإيراني، حيث ينص الدستور في المادة ١٧٥: على أنه «يجب تأمين حرية النشر والإعلام طبقاً للمعايير الإسلامية ومصالح البلاد في الإذاعة والتلفزيون.

- يتم تعيين رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في جمهورية إيران وإقالته من قبل قائد الثورة»[(١)].

وهذا يدل على محورية دور الإعلام في السياسة الإيرانية الداخلية والخارجية.

٣- لعل مما يؤكد هذا الدور المركزي للإعلام في السياسة الشيعية والإيرانية تصريح المرشد الحالي علي خامنئي الذي يقول فيه: «وسائل الإعلام في هذا العصر لها قدرة تدميرية تعادل القنبلة الذرية»[(٢)] ، وقالوا في شرح هذا التصريح: «لا نكون في موقع المبالغة إذا حددنا أن كل فضائية معادية تعادل سرب طائرات أو حاملة طائرات في قوتها الناعمة في سياق معادلات هذه الحرب الجديدة، وكل موقع أو شبكة إنترنت تعادل مدفعا ثقيلا في قوتها الناعمة، وكل مقالة أو تصريح يعادل قذيفة صاروخية في قوته الناعمة، كما أن كل تصريح أو خطاب لقائد من قادة الفتنة يوازي كمينا بعبوة ناسفة متفجرة في قوته الناعمة. فهذه هي أسلحة الحرب الناعمة».

توظيف الإعلام في السياسة الشيعية والإيرانية

في عهد الخميني: سعت إيران منذ بداية عهد حكم الخميني والملالي إلى الدعاية لثورتهم وفكرهم عبر المجلات لكونها الوسيلة الأفضل للتواصل مع الشعوب العربية في تلك المرحلة، فقد كانت إيران تصدر عددا من المجلات الدعائية بعناوين جذابة على غرار مجلة «الوحدة الإسلامية» و«التوحيد» و«الهدي» وغيرها، والتي كانت توزعها السفارات الإيرانية مجاناً ويتلقفها الشباب بلهفة، وكان لهذه المجلات دور في إيجاد شعبية لإيران والخميني لدى قطاع كبير خاصة من الطلبة بل وفي تشيع عدد منهم، وقد حدث هذا في تونس على سبيل المثال.

كما أن إيران الخميني استبدلت مسار القسم العربي في إذاعة طهران من الدعاية لفكر الشاه لبث فكر تصدير الثورة الخمينية.

اهتمت إيران الخميني بالإعلام مبكرا فاعتنت «بهيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانيّة IRIB والتي تشمل أكثر من ٣٥ قناة إذاعيّة وتلفزيونيّة حكوميّة، وتضم حالياً أكثر من ٢٥٠٠٠ موظف، تأسّست عام ١٩٦٦، كان يرأسها منذ عام ١٩٩٦ ولمدة عشر سنوات رئيس البرلمان الحالي علي لاريجاني قبل أن يكلف برئاستها عام ٢٠٠٥ العميد في الحرس الثوري المهندس عزت الله ضرغامي، ومما قاله خامنئي في قرار تكليف ضرغامي: «بالنظر لإمكانياتكم وتجاربكم ومعرفتكم الواسعة بشؤون هذه المجموعة الكبيرة والمؤثرة، أعينكم رئيسًا لهيئة الإذاعة والتليفزيون لمدة خمس سنوات».

ويَعتبر ضرغامي أن هيئة الإذاعة والتليفزيون، أحد الأركان الأساسيّة للنظام، بعد أن جمع إلى نفوذه في السينما، والمسرح والموسيقى، والصحافة، نفوذاً على أكبر هيئة ثقافيّة إعلاميّة قوميّة. والعميد ضرغامي (غوبلز إيران) هو أحد المشاركين مع نجاد في احتلال السفارة الأمريكية في طهران عشية انتصار الثورة، وهو أحد أركان مجموعة المسؤولين المعتقدين في الولاية المطلقة

(١) المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٢) تقرير رؤية الإمام الخامنئي نحو الحرب الناعمة، مصدر سابق.

للفقيه، من غير علماء الدين»[1].

ويختصر علينا د. عصام السيد عبد الحميد البحث الطويل حول التوظيف السياسي للإعلام الإيراني فيقول: «وقد جرى تكثيف الخطاب الصحفي الخارجي بوصفه أداة من أدوات السياسة الخارجية خاصة في وقت الأزمات الدولية مثلما هو الحال في حالة إيران مع جيرانها وعلاقاتها الخارجية»[2].

القنوات الفضائية: بحسب دراسة الفضائيات الشيعية التبشيرية[3] هناك ٣٣ قناة شيعية عربية على قمري عرب سات ونايل سات، تبث من إيران والكويت والعراق ولبنان، وهي تتبع لجهات ومرجعيات شيعية مختلفة، أغلبها على علاقة بإيران، والقليل منها يتبع التيار الشيرازي أو الشيعة الشيخية التابعين لمرجعية الإحقاقي.

وتعتبر قناة (سحر)التي أصبحت اليوم تحمل اسم قناة الكوثر الإيرانية أول بداية للإعلام الفضائي الشيعي المنظم حيث ظهرت عام ١٩٨٠، عقب الثورة الإيرانية بأشهر قليلة جداً، وكانت تبث ساعة واحدة ثم أصبح بثها ١٨ ساعة[4].

وتتنوع هذه الفضائيات الشيعية والإيرانية بين فضائيات دينية وهي نوعان: نوع يعتمد المواربة ويدعي التقريب والوحدة، ونوع صريح في نشر التشيع بخرافاته وغلوه، وقنوات سياسية إخبارية، وقنوات للأطفال، وقنوات فنية، وقنوات تنطق بلسان أحزاب شيعية في لبنان والعراق واليمن، وقنوات تعليمية.

ولم تقتصر إيران على إنشاء قنوات بالفارسية والعربية، بل أصبح لها قنوات بلغات عديدة مثل الإنجليزية والفرنسية والأفغانية واللهجات الأفريقية.

تحرص إيران والقوى الشيعية على تكوين أذرع إعلامية في أي بلد يستهدفونه، وذلك للدور الهام لهذه المؤسسات الإعلامية في تسويق الرؤية الشيعية/ الإيرانية في قضايا الدين والسياسة، وتشكيل حاضنة شعبية بين النخب والجمهور، وفيما يلي بعض الأمثلة العملية على ذلك:

١- **أفغانستان:** فها هي أفغانستان التي ضحى المسلمون كثيرا من أجل تحريرها من الشيوعيةالروسة، تقع فريسة سهلة بيد التشيع، إذ أصبح فيها عشرات المؤسسات الإعلامية الشيعية، يقول غلام حسين موحدي، أحد كبار دعاة الشيعة هناك: «أدرك الشيعة الأفغان أهمية الإعلام وأنه سلاح العصر ويجب التعامل معه على هذا الأساس، فهم وبدعم خارجي سواءً من أمريكا وبريطانيا وفرنسا أو بدعم حكومي وشعبي من إيران أكثر فاعلية في القطاع الإعلامي، فعلى سبيل المثال خمس من القنوات الفضائية المهمة من بين أربع عشرة قناة في البلاد يملكها الشيعة مثل قناتي طلوع (الشروق) ولمر(الشمس) يملكها الشيعة الإسماعيلية بدعم وتمويل مباشر من زعيم الطائفة الإسماعيلية كريم أغاخان، إضافة إلى قناتي آريانا الوطنية وآريانا العالمية اللتين يملكهما رجل الأعمال الشيعي إحسان بيات، وأما القناة الخامسة واسمها (تمدن) أي الحضارة فيشرف عليها المرجع الشيعي المشهور في أفغانستان آيت الله آصف محسني، وهي من أشهر وأخطر القنوات الفضائية الدينية في أفغانستان، نظرًا لكثافة وتنوع برامجها الدينية إلى جانب الإعداد الجيد، والتطور المستمر في شمولية موادها.. ولا شك أن هذه القناة رافد مهم لنشر المذهب الشيعي في أفغانستان.

أما عن المؤسسات الإعلامية الشيعية والجرائد والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية فحدِّث ولا حرج، وبناءً على مسحٍ ميداني قام به أحد المشتغلين بالإعلام في العاصمة الأفغانية كابول فإن نصف الجرائد والمجلات الموجودة في السوق تقريبًا تصدر من قبل الشيعة. وقد حرص الشيعة بدعمٍ من إيران وغيرها من الدول على العمل في قطاع السينما، والدليل على ذلك أنه في المهرجانات السينمائية التي

(١) مقال: استراتيجيّات الإعلام الإيراني الموجّه للعالم العربي، فهد الأرغا المصري، موقع الحوار المتمدن ٢٠١٠/٢/٧.

(٢) الخطاب الإعلامي للثورة الإيرانية وأثره على العلاقات الخارجية، د عصام السيد عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٦٦.

(٣) الفضائيات الشيعية التبشيرية دراسة وصفية مع تحليل محتوى قناة الكوثر الإيرانية، إعداد الهيثم زعفان، مركز التنوير للدراسات الإنسانية، القاهرة ، ص ١٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢١، ١١٥.

تقام في مدينتي كابول ومزار شريف يكون للأفلام السينمائية التي ينتجها المخرجون الشيعة نصيب الأسد»[1].

٢- **الكويت**: وفي الكويت دعم الشيعة رجلا شيعيا إيرانيا مجهولا تجنس بالواسطة ليصبح إمبراطور الإعلام في الكويت ويملك العديد من الصحف والقنوات، وهو المدعو محمود حيدر[2].

٣- **المغرب**: وفي المغرب مؤخرا سُمح للشيعة بترخيص مؤسسة رسمية لهم ذات طابع بحثي وإعلامي، وهذا يدل على وجود رؤية واضحة للغزو والتغلغل في المجتمع المغربي[3].

٤- **قناة الميادين**: ولعل إنشاء إيران لقناة الميادين[4] سريعاً عقب بداية الربيع العربي والتصادم مع سياسة قناتي الجزيرة والعربية في رفض تمرير انقلاب شيعة البحرين تحت شعار الربيع العربي، يدل على مقدار الاهتمام بوجود قناة عربية تنقل رؤية إيران للواقع العربي ومتغيراته وتكون أكثر تحررا وانفتاحا في الضوابط الشرعية للوصول لشرائح غير ملتزمة، وفعلا استقال غسان بن جدو - المتشيع سياسيا وقد يكون عقديا- من قناة الجزيرة في ٢٠١١/٤/٢٤، وبدأت قناة الميادين المدعومة من إيران وحزب الله بالبث في ٢٠١٢/٦/١١.

إن لقناة الميادين دورا مهما في ترويج الإشاعات عن الثورة السورية كفرية جهاد النكاح، وقد تسبب هذا في استقالة مذيعة الميادين في تونس مليكة الجباري، أو التغطية على جرائم الحوثيين، مما حدا بمذيعة الميادين منى صفوان في اليمن إلى الاستقالة بعد منع حلقة استضافت فيها صحفيا انتقد اعتداءات الحوثيين على الإعلاميين.

جوانب من استراتيجية الغزو الإعلامي ناعم من قبل الشيعة وإيران

١- الحرص على استمرار وصول بث القنوات الشيعية والإيرانية للمجتمعات السنية، ويتمثل ذلك في ردة فعل إيران القوية والسريعة على قرار شركتي النايل سات والعرب سات بإيقاف بث قناة العالَم سنة ٢٠٠٩، بسبب سياسة القناة الإيرانية والمحرضة ضد الدول العربية، حيث اعترضتا بشدة، ومن ثم قامتا بالبث على القمر الأوربي الذي يلتقط في العالم العربي، وأيضا واصلت اتصالاتها حتى عاد بثها من النايل سات والعرب سات بعد مدة قصيرة.

٢- الحرص على تعدد المنابر الإعلامية وتنوعها في المضمون والشكل والجمهور، حتى تصل لأكبر شريحة من جهة، وحتى تكرر الرواية الشيعية والإيرانية في الجانب الديني والسياسي بما يخدم المشروع الشيعي الإيراني.

٣- تقوم القنوات الشيعية والإيرانية بنشر التشيع الديني بشكل مباشر أو غير مباشر، أما القنوات المباشرة فهي من مثل قناة فدك التي تتبع للمجرم الهارب ياسر الحبيب، والتي لا تخفي أي شيء من العقائد الشيعية الطائفية والغالية بتكفير الصحابة وأمهات المسلمين والطعن في ثوابت القرآن والسنة بكل وقاحة[5].

وكذلك كثير من القنوات الشيعية الأخرى التي تنقل خطب ومحاضرات علماء الشيعة والتي تبث أفكاراً في غاية الغلو والطائفية، ويتم اقتطاع كثير من فقرات هذه الخطب والمحاضرات وتنشر في وسائل التواصل الاجتماعي كنماذج للغلو الشيعي.

---

(١) في مقابلة معه نقلتها صفحة الشيخ سلمان العودة على موقع الإسلام اليوم، على الرابط التالي:
http://www.islamtoday.net/salman/services/saveart-13-125448.htm

(٢) من هو محمود حيدر، موقع الشيخ عثمان الخميس، على الرابط التالي:
http://www.almanhaj.com/vb/showthread.php?t=15056

(٣) تم الترخيص في شهر ٢٠١٥/٢، الخبر على الرابط التالي:
http://ar.yabiladi.com/articles/details/33610/%D9%85%D8%B3%D8%A4%D9%88%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%8A.html

(٤) مقال: القصة كاملة: ماذا تعرف عن «غسان بن جدو» مالك قناة الميادين؟!، موقع شام لايف ٢٠١٤/٥/٢٥.

(٥) تم مساءلة القناة رسميا في بريطانيا بخصوص إثارتها للطائفية في شهر ٢٠١٤/٤.

وهناك قنوات وبرامج تعمد لنشر التشيع بطريقة غير مباشرة، فقناة الكوثر تقدم «برامج دينيّة تبشيريّة للمذهب الشيعي الإثني عشري، وفق الرؤى والأفكار الإيرانيّة (منها برامج: مطارحات في العقيدة - أحكام الإسلام - حقائق التاريخ - عقائد الإسلام - المهدي الموعود - مرايا الفكر- الصّادق إمام المسلمين) ومن يتابع تلك البرامج بعين وأذن المراقب يتأكد دون أي مجال للشك أنها تهدف إلى إذكاء التعصب والتشدد المذهبي والطائفي وبث الفتنة من جهة، ومحاولة استمالة أبناء الفرق والمذاهب الإسلاميّة الأخرى نحو التّشيع الإيراني من جهة أخرى.

وبمراقبة المسلسلات التاريخيّة الإيرانيّة المدبلجة للعربيّة على قناة الكوثر، نتأكد أيضاً أن هناك استراتيجيّة ذكيّة وخطيرة تحوّر الحقائق ووقائع التاريخ (كنموذج: مسلسل يوسف الصّديق - مسلسل الطريق إلى الرّي) ومسلسلات للترويج لقوة وزارة اطلاعات (المخابرات) والأجهزة الأمنيّة الإيرانيّة في كشف وتتبع شبكات الجاسوسيّة والإجرام، على شاكلة ونموذج المسلسلات البوليسيّة الأمريكيّة، ونلاحظ أن كافة المسلسلات التلفزيونيّة الإيرانيّة المذكورة، تعرض على قنوات أخرى تتبع التوجه الإيراني كقناة الفرات والمنار وغيرهما»[1].

ويرى الهيثم زعفان[2] أن القنوات والبرامج التبشيرية الشيعية غير المباشرة تعمد إلى:

أ- تجنب السب المباشر للصحابة وأمهات المؤمنين، مع طرح مغالطات وافتراءات حولهم.

ب- محاصرة المشاهد بجرعة مكثفة من الأجواء الشيعية (اللطم، السواد، البؤس، الأضرحة...).

ج- إمطار المشاهد بسيل من الأحاديث الشيعية الكاذبة.

د- عدم استثناء الأطفال من غزوهم الفكري الديني.

(١) مقال استراتيجيات الإعلام الإيراني، مصدر سابق.

(٢) الفضائيات الشيعية، مصدر سابق، ص ١١.

ه- الوقاحة في تقديم وتجسيد شخصيات الأنبياء والصحابة وبطريقة غير محترمة أيضا.

٤- برغم تعدد المنابر الإعلامية السياسية الإيرانية والشيعية إلا أنها تصدر عن رؤية مشتركة ليس في الخطوط العريضة بل حتى في معالجة الحدث السياسي الواحد، فهناك مطبخ سياسي/ إعلامي يقوم بتصدير الخبر والفكرة وطريقة علاجه، ويمكن رؤية نماذج تطبيقية لذلك في برنامج DNA الذي يقدمه نديم قطيش على شاشة قناة المستقبل، حيث يستعرض سيلا من التصريحات للإعلاميين التابعين لمحور إيران في عدد من الفضائيات حول قضية محددة فإذا هي نفس الجملة ونفس الفكرة !!

٥- تقديم رواية متكاملة عن الحدث من عدة زوايا عبر عدة منابر حتى تكاد تصدق من شدة تفاصيلها وتكرارها وهي ليست في الحقيقة إلا سراب، وتعتمد في ذلك على:

الإغراق، التلفيق، قلب الحقائق، تحريف الحقائق، وقصة انقلاب شيعة البحرين تحت ستار الربيع العربي أفضل مثال لذلك[٣].

٦- استغلال القضايا الإسلامية المركزية والمتفق عليها بين الجميع لتمرير المشروع الشيعي الإيراني، ومن أهم هذه القضايا التي استخدمت لتمرير الأجندة الشيعية والإيرانية: القضية الفلسطينية، شؤون المسلمين خاصة الكوارث والحروب، تعظيم آل البيت، ويتبدى هذا مثلاً في قناة العالَم و«السّياسة البرامجيّة والإخباريّة والخط التحريري العام (برامج منها: من طهران - من العراق - الإمبراطوريّة السّادسة - مع الحدث - الرّأي الأول - العين الإسرائيليّة - المحور..إلخ)[٤].

٧- توظيف الكتاب والإعلاميين من تيارات غير شيعية أو إسلامية أصلا للترويج للمشروع الإيراني الشيعي، جاء في وثيقة سرية إيرانية[٥]

(٣) دوائر نفوذ الولي الفقيه، مصدر سابق، ص ٢٣٤، ٥٤١.

(٤) مقال استراتيجيات الإعلام الإيراني، مصدر سابق.

(٥) نشرت في كتاب بعنوان: قراءة في الخطة السرية الإعلامية الإيرانية، ضمن سلسلة كتب موقع الراصد رقم ٥، ط١ ٢٠٠٩، وتتوفر نسخة الكترونية منها في موقع الراصد، نافذة الإصدارات www.alrased.net

بخصوص الإستراتيجية الإعلامية الإيرانية المطلوبة لهذه المرحلة ما يلي: «إن من المهم أن ندرك بأن ثمار ما زرعناه في البلدان العربية منذ عقود من الزمن بعد الثورة الإسلامية، قد نضجت وحان وقت قطافها، مما يجعل استثمار رصيدنا العربي من الكتاب والمثقفين والساسة العرب، الذين عرف عنهم معاداة أمريكا في المراحل الماضية والوقوف ضد غزو العراق، ودعم ما يسمي بـ (المقاومة العراقية) الصدامية الوهابية ضرورة حاسمة، وخصوصا زج رصيدنا العربي مباشرة في الرد على خصومنا وجعلهم يتصدون للكتاب والصحفيين المناصرين للصّداميين والوهابيين أو العفالقة والوهابيين أنفسهم.

لقد حان وقت تحرك هؤلاء لأنهم يحظون بسمعة طيبة خصوصا في الأوساط المساندة للصداميين والوهابيين مما يخلق ارتباكا في صفوف مناهضي جمهورية إيران الإسلامية»[1].

ثم فصلت الوثيقة كيفية توظيف هؤلاء المرتزقة الإعلاميين فقالت: «لتجنب كشف أو عزل أنصارنا من الكتاب العرب، يجب توزيع الأدوار بينهم بدقة، وعدم جعل أحدهم أو بضعة منهم يقومون بكل العمل الإعلامي المطلوب»[2].

وكانت بداية هذا الاختراق لصفوف الإعلاميين القوميين على يد حزب الله، يقول أمير سعيد: «لا شك أن حزب الله قد نجح قبل الحرب وخلالها أن يوجد قواسم مشتركة مع التيار القومي بتنوعاته المختلفة... في مصر تحديداً أرفقت بعض الصحف القومية ملاحق لزعيم حزب الله وحاولت بعض الصحف اعتساف صورة قومية لحسن نصر الله»[3].

ولعل مكتب قناة المنار في القاهرة من أبرز الأمثلة على هذا التوظيف للقوميين والناصريين لخدمة المشروع الشيعي الإيراني والدفاع عنه.

٨- إسكات منابر الخصوم الإعلامية وهي سياسة تكررت كثيراً، سواء على الصعيد الإيراني حيث يتم إغلاق الصحف والمجلات واعتقال الصحفيين دوما في صراعات الأجنحة السياسية الإيرانية.

وأيضا حين لا تعجب الشيعة أي مادة إعلامية فإنهم يحتجون بل ويقتحمون المؤسسات الإعلامية، ففي الكويت في عام ٢٠٠٧ تم مهاجمة مقر إحدى القنوات بسبب اعتراض الشيعة على مسلسل تلفزيوني، وفعلا تم إيقاف المسلسل![4].

وفي لبنان وعقب اجتياح حزب الله لبيروت عام ٢٠٠٨ تم مباشرةً مهاجمة منابر خصومه من السنة، حيث تم اقتحام مقر قناة المستقبل، كذلك استولى الحزب على مقر صحيفة المستقبل وأشعل المسلحون النيران فيها، كما أن إذاعة الشرق أوقف بثها.

وقد تجلى هذا مؤخراً في اليمن حيث قام الحوثيون بالاستيلاء على قناة سهيل التابعة لحزب الإصلاح اليمني الممثل لجماعة الإخوان المسلمين يوم ٢٠١٤/٨/٢٢ وحتى يوم ٢٠١٤/١١/٣، حيث سلموه لأصحابه لكن بعد أن عاثوا فيه فسادا وتدميرا ونهبا لمحتوياته، فضلا عن إيقاف بث القناة طيلة تلك الفترة، وقد تكرر الإيقاف والاعتداء والخطف لبعض العاملين والإعلاميين في القناة لمدد متفاوتة.

٩- المعيار الطائفي هو المقدم على أي شيء، فبرغم أن إيران والقوى الشيعية تتمسح بالقضية الفلسطينية وتتخذ منها وسيلة لاختراق صفوف المسلمين وكسب شعبية بينهم، إلا أن ذلك لا يكون على حساب الغلو الشيعي الطائفي، فقد رفض مراسل قناة تي برس في غزة بناء على توجيهات من إدارة القناة بإجراء أي تحقيق إعلامي أو متابعة خبرية لجريمة إسرائيل بقصف مدرسة في غزة، والتي راح فيها عدد من الأطفال والضحايا الأبرياء، وكان هذا الرفض فقط لأن المدرسة تحمل اسم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله

(١) ص ٩.
(٢) ص ١٥.
(٣) حرب بلا نصر، أمير سعيد، مركز الرسالة للبحوث والدراسات، القاهرة، ص ١٣٣.

(٤) http://www.bahrainonline.org/showthread.php?t=183835&page=2

عنه[1]!!

وهذا يؤكد وجود رؤية إعلامية كلية ومركزية تتحكم بكامل المشهد الإعلامي، وتعمل على إسقاط رموز الإسلام الكبار من المشهد ولو في قضية جزئية مثل هذه، فمن سينتبه لاسم المدرسة مع وجود الأشلاء والضحايا؟ ولكنه الحقد الطائفي البغيض الذي يسعى لطمس حتى مجرد ذكرهم في اسم مدرسة أو شارع.

١٠- هناك تفاعل وتناغم عجيب بين ما تبثه وسائل الإعلام الشيعية والإيرانية من أكاذيب وافتراءات، وبين ما يتم تداوله في الشارع الشيعي في أي مكان، مما يكاد يخلق حالة كاملة من الوهم لدى الشارع الشيعي بل ويمتد لكثير من قطاعات السنة التي تتعرض للإعلام الشيعي والإيراني أو تحتك بالشارع الشيعي خاصة إذا كان عندها تساهل مع الشيعة وعدم وعي بعقيدتهم وسياساتهم الطائفية[2].

١١- يزاوج الإعلام الشيعي والإيراني بين خطاب أبناء الطائفة الذي يهدف لشحنهم وشحذهم خلف سياسة إيران الشيعية، وبين خطاب الرأي العالمي، حيث يلجأ إلى مخاطبته بالقيم المشتركة والإنسانية، في مكر وخبث كبيرين[3].

١٢- يتم تدريب الكوادر الإعلامية عبر مؤسسات متخصصة، ولا يسمح لأحد أن يتصدر للحديث باسم إيران إلا لمن تم تأهيله لهذه المهمة، وتجد أنهم يستخدمون تكتيكا موحدا للتخلص من الهجوم على إيران والشيعة، ويتمثل في: توقع طرح الإشكالات وتحضير الرد عليها مسبقاً ولو كانت غير مقنعة، والتطويل والتشعب في الإجابة بحيث يخرج عن نطاق السؤال، والتركيز على قضايا فرعية خارجة عن صلب الموضوع[4].

ولعل في المتحدثين الإعلاميين لجماعة الحوثي ما يؤكد الاستعداد والاهتمام المسبق بصنع الكوادر الإعلامية.

الخاتمة:

تبين لنا بكل وضوح أن الشيعة وإيران يديرون معركة إعلامية مركزة وقوية، ويحشدون لها أفضل الطاقات، ويضخون فيها مبالغ ضخمة جداً، وقد كانت النتيجة حصولهم على شعبية جارفة في المنطقة العربية والأمة الإسلامية، صحيح أنها تضررت بشكل كبير عقب فضح طائفيتها في الثورة السورية، إلا أنها ما تزال تخدع قطاعا واسعا من المسلمين والناس، ولا تزال خيانة وغدر وعدوان وإجرام إيران والشيعة بحق الشعب العراقي والسوري واللبناني واليمني وغيرهم قضية جدلية تقبل النقاش والأخذ والرد عند قطاعات من العرب والمسلمين.

أما على الصعيد الدولي والعالمي فقد تمكنت إيران من إقناع دول كثيرة بكونها معتدلة ومحاربة للتطرف السني (داعش)، وأنها جزء من استقرار المنطقة، ومنها تمكنت من تعويم دميتها بشار الأسد في سوريا، والحوثيين في اليمن.

التوصيات:

١- يجب الاهتمام البالغ بصد الحرب الإعلامية التي تشنها إيران والقوى الشيعية علينا.

٢- يجب التركيز على بناء كوادر إعلامية تجمع بين المهارة الإعلامية والعمق الشرعي بحقيقة الفكر الشيعي والتحليل السياسي الدقيق للسياسات الشيعية والإيرانية، ولذلك يجب العمل على مسارين: تزويد الدعاة والعلماء المقاومين للتشيع بالمهارات الإعلامية، وتزويد الإعلاميين المقاومين للتشيع بالمعرفة اللازمة عن التشيع عقيدة ودين، وسياسة وحركة ودور.

وقد شكل كلٌّ من د. محمد الهاشمي مالك قناة المستقلة، والإعلامي البارع محمد صابر في قناة صفا، والأستاذ أسامة خضر في قناة وصال، إضافة نوعية للإعلام المتصدي للتشيع، وذلك بعد أن تشبعوا بفهم حقيقة انحراف التشيع، فسخروا قدراتهم الإعلامية بشكل مذهل، حتى خرجت فتاوى مراجع الشيعة بتحريم مشاهدة أمثال هذه القنوات.

٣- من الضرورة بمكان إيجاد مطبخ إعلامي سياسي موحد من خبراء إعلاميين ومتمرسين في

---

(١) http://www.haqeeqa.net/Subject.aspx?id=1447

(٢) دوائر نفوذ الولي الفقيه، مصدر سابق، ص ٥٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٨٤.

الشأن الشيعي والإيراني، يقدم المشورة والتوجيه في معالجة الأحداث والمواقف، ويقدم مقترحات للتنفيذ لاقتناص الفرص الإعلامية في الحرب الناعمة، وتعمل بتوصياته كافة منابر مقاومة التشيع.

٤- دعم المؤسسات الإعلامية المقاومة للتشيع والقائمة، مع رفدها بالطاقات والإمكانيات، وفسح المجال لظهور منابر أخرى لخلق حالة تنافس إيجابي.

٥- أهمية تكثير المنابر الإعلامية المقاومة للتشيع، والانفتاح على شرائح أوسع في داخل الأمة الإسلامية والعالم، وبعدة لغات.

٦- الاستفادة من الكفاءات الإعلامية والسياسية المناقضة للمشروع الشيعي والإيراني من مختلف التوجهات، وتوظيفها في مصلحتنا، وهي تتميز بمهنية واحتراف نفتقدها، برنامج نديم قطيش مثلاً، برنامج عاكس خط لمحمد الوادعي بقناة سهيل اليمنية.

٧- تطهير قنواتنا الإعلامية المختلفة من أبواق إيران الصريحة والمستترة، وهي للأسف كثيرة جداً.

التيار الناصري وإيران... تساؤلات تبحث عن إجابات

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

عندما اندلعت ثورة الخميني في إيران ونجحت في تحقيق هدف الوصول لسدة الحكم عام ١٩٧٩ وجدنا الحركة الإسلامية بمختلف أطيافها في أغلب البلدان العربية وقد هللت لهذه الثورة مظنة أن انتصارها نموذج لانتصار الإسلام الثوري الذي يناضل من أجل تحرير الشعوب من قبضة الاستبداد وإنصاف المقهورين، الأمر الذي دعا هذه الحركات إلى أن تتواصل مع قيادة ثورة الخميني وتقيم العلاقات معها في محاولة للاستفادة

(*) كاتب مصري.

من تجربتها وخبرتها الحركية والتنظيمية والفكرية حتى قدمت قيادة الحركة الإسلامية الخميني للشباب المسلم باعتباره نموذجا يجب أن يحتذى وهو ما كانت تخطط له ثورة الخميني ذلك أن هذا هو السبيل الأمثل لتحقيق هدف تصديرها للبلدان المحيطة ومن ثم نشر المذهب الشيعي، وعليه فإن الخميني ورجاله لم يتوانوا ومنذ اللحظة الأولى عن إقامة جسور التواصل مع قادة الحركة الإسلامية في كل البلدان العربية وهو التواصل الذي تجاوز مع البعض حدود الحوار إلى تقديم الدعم اللازم سواء الدعم المادي أو احتضان بعض العناصر الهاربة من بلادها أو إقامة المؤتمرات وتبني بعض الشعارات وما إلى ذلك.

لكن ومع مرور الزمن بدأت تتكشف الأمور شيئا فشيئا حتى وعت الكثير من هذه الحركات الإسلامية أن هذه الثورة إنما هي خدعة كبرى وأن محركها الأساسي أهداف قومية فارسية بحتة وأن علاقة هذه الثورة بالإسلام لا تعدو عن كونه مجرد أداة وظيفية اكتسبت بها تعاطف الشعوب وتضامنها فيما كانت تستغل كل ذلك لتحقيق مآرب وأهداف خاصة.

وعلى الرغم من كل ما سبق فقد بقي ثمة مبرر لدى المحللين والمراقبين لنشأة هذه العلاقة بين الإسلاميين العرب والدولة الإيرانية ما بعد ثورة الخميني إلا أن ما بقي غامضا غير مفهوم هو تلك العلاقة الوطيدة التي كانت ولا زالت تربط بين التيار الناصري العربي وبين الدولة الإيرانية الأمر الذي يحتاج معه إلى محاولة تفهم وتفسير لمسار هذه العلاقة وأسباب استمرارها.

القومية العربية

شعور الفخر والاعتزاز بالانتماء للجنس العربي هو شعور قديم يعود لما قبل ظهور الإسلام حيث كانت القبائل العربية تتباهي بهذا الانتماء وتفخر كل قبيلة بأصالة وعراقة حسبها ونسبها وقد بدا ذلك جليا في أشعارهم وكتاباتهم ثم لما جاء الإسلام عبْر نبي عربي هو محمد بن عبد الله الهاشمي

القرشي – ﷺ - كان ذلك بابا جديدا لاعتزاز العرب بأنفسهم غير أن الإسلام كان صريحا وواضحا في رفض التعصب أو إقرار العنصرية حيث اعتبر معيار القرب من الله عز وجل هو التقوى وليس الجنس أو العرق .

وظلت الغلبة لهذه الروح الإسلامية الجديدة خاصة وقد توسعت الدولة الإسلامية وشملت العشرات من البلدان غير العربية التي لم يستشعر مسلموها أية تفرقة أو عنصرية ضدهم بل إن بعضهم حقق من المكانة العلمية والسياسية ما يفوق الكثير من العرب حتى كان مخطط ضرب الدولة الإسلامية من داخلها فاستغل المنافقون أجواء الحرية فعملوا على بث روح الشعوبية وتعصبوا ضد العرب لتنشأ بطبيعة الحال حركات عربية مضادة تمجّد من العرب وتعلي من عرقهم بشكل وصل من جديد إلى حد التعصب والعنصرية.

إزاء تلك الحالة شهد تاريخ الدولة الإسلامية صراعات شعوبية في العديد من المناطق لكن الروح الإسلامية المتسامحة كانت هي الغالبة فكانت حالة من التأرجح في قوة الشعوبية ارتهنت بقوة الدولة الإسلامية وضعفها.

إلا أنه ومع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أو عصر القوميات كما يسميه البعض تنامت روح القومية العربية حيث أصبحت القوة السياسية الأولى والمحركة للجماهير في بلاد الشام والعراق والتي يرى البعض أنها كانت ردة فعل على سياسة جمعية الاتحاد والترقي القمعية للعرب والتي عملت على تتريكهم وإلغاء وجودهم الثقافي.

يقول المفكر القومي الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه عن «العروبة والإسلام»: «في مطلع القرن العشرين كانت كل أقطار الوطن العربي تحت سيطرة الاحتلال الأوروبي ما عدا أقطار المشرق، فقد كانت ما تزال أجزاء منه ضمن دولة الخلافة، ولم تلبث الحركة القومية التركية (الطورانية) ممثلة في قيادتها (جمعية الاتحاد والترقي) أن ألغت فعليا دولة الخلافة من حيث هي دولة مشتركة بين أمتين العربية والتركية، وحولوها إلى دولة تركية تحكم العرب وتحاول سلب خصائصهم القومية بتتريكهم، وحيث بدأ الهجوم بدأت المقاومة، وبدأ الدفاع عن القومية العربية حيث بدأ الهجوم على القومية العربية».

وظلت هذه الروح القومية في تصاعد حتى وصلت إلى ذروتها مع وصول جمال عبد الناصر لسدة الحكم في مصر بعد عامين من الإطاحة بالملك فاروق في يوليو ١٩٥٢م فقد رفع عبد الناصر شعارات القومية والاشتراكية ونجح بكاريزميته الخاصة وخطابه التعبوي في أن يستقطب قطاعات كبيرة من الجماهير العربية التي كانت تتوق إلى التحرر من قبضة الاستعمار الأجنبي والاستبداد الداخلي وهو ما أفرز بعد ذلك مدارس ومذاهب مختلفة للقومية اتفقت جميعها على أن القومية العربية أو العروبة في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح وبأن دولة عربية واحدة ستقوم لتجمع العرب ضمن حدودها من المحيط إلى الخليج.

تناقض مثير

كما هو ظاهر من الاستعراض السابق لمفهوم القومية العربية فإنها تتعارض مع أية مشاريع قومية أخرى تحاول أن تنتزع الحق العربي أو تقلل من شأنه ومن ثم فإن الذي يرِد إلى الذهن بشكل بديهي هو أن القوميين العرب حتما ولابد أن يكونوا في حالة خلاف مع الأحلام الإيرانية الفارسية التي تحتقر العروبة جنسا وفكرا بل إن المذهب الشيعي الذي تبناه هؤلاء الفرس على حساب المذهب السني لم يكن إلا انحيازا للجنس الفارسي أيضا حيث هذه الخصوصية التي يوليها الشيعة للحسين بن علي – رضي الله عنه – دون بقية إخوته من أبناء علي – رضي الله عنه– والتي يرجعها الكثيرون إلى أن الحسين ووفق الكثير من الروايات التاريخية تزوج بامرأة فارسية هي «شهربانوية بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملك الفرس» والتي كان لقبها «شاه زنان» أي ملكة النساء وسماها الحسين «مريم» حيث تزوجها بعد أن وقعت في الأسر

وأهداها له الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لكن العكس هو ما بدا من قبل أنصار القومية العربية «نشطاء ومنظرين» فنجدهم وقد انحازوا تماما للدفاع عن إيران ومشاريعها غاضين الطرف عن الكثير من أخطاء إيران الجسيمة بحق القومية والعروبة والتي لم تكن فقط متعارضة مع الحقوق العربية بل تمثل انتزاعا لهذه الحقوق ومن ذلك مثلا الإصرار الإيراني على تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي واستمرار احتلالها للجزر الإماراتية الثلاث (طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى) وتعاطي الكثير من مسئولي الدولة الإيرانية مع البحرين باعتبارها المحافظة الثامنة والعشرين من المحافظات الإيرانية والتدخل السافر في العراق والحرب العنيفة ضد الثورة والثوار السوريين والدعم اللامحدود للمتمردين الحوثيين في اليمن وتمويل مشاريع الاختراق الشيعي في الكثير من البلدان العربية السنية كمصر والسودان والمغرب وغير ذلك مما لم يعد خافيا على أي متابع أو حتى غير متابع.

وقد كان ذلك التناقض بين ما يتبناه القوميون نظريا وبين مواقفهم العملية مثيرا للكثير من علامات الاستفهام حتى أن البعض اعتبر أن المسألة لا تعدو عن كونها واحدة من «السبابيب» – أساليب ملتوية للارتزاق المالي – ومن ثم فإنها مواقف غير مبدئية يمكن أن تتبدل بحسب الظروف والأحوال.

بين المبدأ والارتزاق

وهذا الذي ذهب إليه البعض ربما لا يحمل الكثير من التجني خاصة وأن ثمة شواهد تدلل على ذلك منها مثلا ما صرح به نائب قائد تجمع الضباط الأحرار في شئون الاستخبارات والتنسيق للجيش السوري الحر العميد حسام العواك، الذي أشار إلى فحوى تقرير تلقاه بشأن دعم إيراني موجّه لبعض الأحزاب والتيارات الناصرية والاشتراكية بالدول العربية.

وأفاد العواك أن طهران تُخصص نحو ١٠٠ مليون دولار سنوياً لدعم بعض تلك التيارات في المنطقة حيث إن الحرس الثوري الإيراني يصف الأحزاب التي تستلم الدعم الإيراني بأنها تجمع عدداً كبيراً من الشباب العربي المتحمس والمؤمن بالقومية العربية.

وأوضح العواك أن التقرير وصف قادة تلك الأحزاب بأنهم مرتزقة ويعملون لمن يدفع أكثر كما لا يرى التقرير مانعاً من شرائهم في سبيل إظهار إيران كصديق وداعم ومن ثم كسب هذا الشباب المتحمس لتشييعه ووضعه في برنامج المد الثوري.

ومنه أيضا ما كشف عنه «موقع شبكة البصرة» في أواخر عام ٢٠٠٥ حيث أسرت المقاومة العراقية شخصًا إيرانيًا وضع لفترة تحت المراقبة واتضح فيما بعد أنه ضابط مخابرات إيراني كبير من فيلق القدس مكلف بالتنسيق مع التنظيمات الموالية لإيران في العراق وعثرت معه على وثيقة خطيرة تكشف الخطة الإيرانية في مجال الإعلام الموجه للأقطار العربية تسلط الضوء على حجم التغلغل الإيراني في أوساط عربية مثل كُتاب وصحفيين وسياسيين محسوبين على الخط الوطني والقومي والإسلامي العربي.

ومن بين ما جاء في هذه الوثيقة: أنه ورغم أننا ضد القومية العربية العنصرية الماسونية التي تقسم المسلمين على أساس عرقي فإن الاستفادة من القوميين العرب أمر مهم جدا لأن استمالة بعضهم إلى جانبنا سوف يسبب للعفالقة والصدّاميين إحراجا كبيرا ويمنعهم من تجميع التيارات القومية ضدنا .

وتضيف الوثيقة: إننا نسجل لحزب الله في لبنان أنه تمكن من اختراق أهم التنظيمات القومية وهو المؤتمر القومي العربي وبتوجيه مباشر منا وجعل المؤتمر من أهم منابر الدفاع عن جمهورية إيران الإسلامية والرد على هجمات الصدّاميين العنصريين علينا ومنعهم من الحصول على دعم كل القوميين العرب .

وبشكل صريح تضمنت أنه على الأخ السيد (.....) أن لا يتردد في منح المزيد من المال وأن يتحمل جشع البعض في طلباته المالية لأن المال لا قيمة له

مقارنة باختراق القوى المعادية لنا وتحقيق أهدافنا الجوهرية.

وأكدت على أنه يجب على الأحزاب الصديقة لنا – تقصد إيران - في العراق التوقف عن مهاجمة كل القوى القومية والتركيز على العفالقة الصداميين فقط، والعمل على جر الناصريين إلى صفنا بكافة الطرق ومهما كلفنا ذلك من مال وجهد خصوصًا في مصر حيث أصبح التيار الناصري معنا بغالبيته الساحقة وشاهدنا بسرور دفاع بعض الناصريين في مصر عن جمهوريتنا وتصدّيهم بقوة لمحاولات إدانة مواقفنا في العراق.

مبررات واهية

مثل هذه التساؤلات وصلت إلى مسامع الناصريين وأنصار القومية فما كان منهم إلا أن قدموا تفسيرات ومبررات على هذه المواقف أقل ما يمكن وصفها بأنها غير مقنعة، ومن بينها أن علاقةً قويةً كانت تربط بين عبد الناصر والخميني خلال مرحلة الإعداد لثورة ٧٩م، ومنها أيضا أن حزب الله الذي يمثل المقاومة العربية ضد الكيان الصهيوني تدعمه إيران بالمال والسلاح ومن ثم فهي مع الحق العربي، ومنها ما كان قد أشار إليه الكاتب والناشط الإسلامي ممدوح إسماعيل في مقال له حول هذه العلاقة حيث لفت النظر إلى أن أحد أصدقائه قد همس إليه قائلاً إن علاقة الناصريين بالشيعة سببها معاداة عبد الناصر للسعودية السّنية فهم يعملون بميراثه، وأيضًا ما يقال مِن أن زوجة عبد الناصر السيدة تحية أصولها إيرانية[1]!! ثم ختم كلامه الهامس قائلاً: «إن هؤلاء الكُتاب يقولون: طالما أن كُتاب الحكومة يكتبون ضد إيران فنحن سنكون مع إيران».

لكن فلنكن أكثر منطقية ولنعطِ لأنفسنا الفرصة لمناقشة المبرر المتعلق بعلاقة عبد الناصر بالثورة الخمينية إذ الحقائق التاريخية تؤكد بالفعل أنه كانت هناك علاقة وطيدة بين جمال عبد الناصر وثوار إيران فقد كشفت الكثير من الوثائق عن مدى متانة هذه العلاقة ومن ذلك ما ورد في كتاب «عبد الناصر وثورة إيران» لفتحي الديب، الضابط المصري في المخابرات والذي كان مسئولا عن هذه العلاقات.

ولقد أفصح الديب خلال كتابه عن تواصله الدائم مع رجالات الثورة الإيرانية بعد أن تم تعيينه سفيرا لمصر في سويسرا عام ١٩٦٠م وهي اللقاءات التي من خلالها أدرك الديب أهمية الجبهة الوطنية الإيرانية ومقرها الرئيسي في جنيف وقدرتها على تحريك الشارع والجامعات والتنظيمات الطلابية في الخارج والتي يزيد عدد أعضائها على ١٨ ألف طالب يدرسون في الجامعات الأوروبية والأمريكية، ومن ثم استمرت الاتصالات بين مصر عبد الناصر والثورة الإيرانية.

غير أن هذه العلاقة وكما هو معروف كانت نتيجة لرغبة عبد الناصر في التخلص من شاه إيران الذي كان على عداء سافر مع الحركة القومية العربية المتنامية والمزدهرة حيث اعترف الشاه في مارس ١٩٥٠ بـ «إسرائيل» وسمح لها بالتغلغل اقتصاديا في بلاده فيما لم يتردد في جر بلاده لسياسة الأحلاف الغربية ولعب دور الشرطي في الخليج العربي.

كما نجح رجال الجبهة وقتها في إقناع عبد الناصر والقيادة المصرية أنه في حال نجاح ثورتهم سيطبقون نظاما اشتراكيا يتماشى والإسلام المستنير وسيعارضون الأحلاف العسكرية والاحتفاظ بالتراب الإيراني «الحالي» وإهمال كل ما يثيره الشاه من مشاكل بالنسبة للإمارات العربية في الخليج واعتبار كل ما يطالب به الشاه «مثلا البحرين وغيرها» خلقا لمشاكل لا أساس ولا واقع لها.

ترتيبا على ما سبق فقد كان منطقيا أن تستمر علاقة التيار الناصري والقومي بإيران ما بعد ثورة الخميني في حال التزمت هذه الثورة بتعهداتها، إلا أن هذا لم يحدث واقعا، فقد غدر الخميني بشركائه أولاً ومنهم الجبهة الوطنية، ثم أصبحت إيران الخميني شوكة حقيقية في بناء نهضة عربية وكانت ولا زالت عقبة كئود لأن

(١) تحية زوجة عبد الناصر هي إيرانية من الطائفة البهائية، الراصد.

يعيش العرب حالة من الأمن والاستقرار بعد أن كانت بمخططاتها وتدخلاتها في شئون العديد من البلدان العربية سببا لنشوب العديد من النزاعات وبابا لتدخل القوى الأجنبية لتؤول الأوضاع لما عليه الآن.

أما استناد البعض إلى مسألة حزب الله والدعم الإيراني له وكون الحزب نموذجا للمقاومة ضد الكيان الصهيوني فإن مثل هذا السند أضعف من أن يؤخذ به وقد أكدت الأحداث أن قضية المقاومة المزعومة ليست إلا وسيلة لاستمالة الشعب العربي واستعطافه وتقديم الشيعة اللبنانيين وكأنهم رموز المقاومة والترويج الإعلامي لذلك إلى حد أن تم التغطية على الكثير من السياسات الإيرانية فضلا عن سياسات حزب الله في لبنان وجنوبه والتي تتناقض تماما مع مفهوم المقاومة أو العمل على حدوث اصطفاف عربي وإسلامي لتقوية شوكة المقاومة وتحقيق انتصارات حقيقية على العدو الصهيوني.

الإسلام وقضايا المرأة في أفريقيا

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

جاء الإسلام كدين خاتم للبشرية وفيه المبادئ الأساسية التي تصلح لحل جميع الإشكاليات والقضايا عندما يتم الاجتهاد وفقا للقواعد الكلية التي جاء بها الإسلام، كما أن المرونة الكبيرة التي يتمتع بها الإسلام أهّلته للانتشار وسط مجموعة متنوعة من البيئات والمجتمعات والخلفيات الثقافية المختلفة، وليست المجتمعات الأفريقية بشاذة عن هذه القاعدة.

بل ربما الفقر الذي يضرب القارة والوثنية التي تنتشر في أرجائها والعادات والتقاليد البالية التي يتمسكون بها وتعظيم الأموات والآباء والتعصب القبلي الذي يصل لحد الحروب الطويلة تجعل من البيئة الأفريقية بيئة مشابهة إلى حد كبير لبيئة الجزيرة العربية في عصر تنزل الوحي ومن ثم فإن الحلول التي يمكن أن تقدم للقارة سيتوفر لها الكثير جدا من التفاصيل، وفي هذا المقال سنتحدث عن المرأة الأفريقية تحديدا، ما هي أهم المشكلات التي تواجهها؟ وكيف يمكن مساعدتها للتغلب عليها؟

فالحقيقة أن المرأة الأفريقية تعاني الكثير من المشكلات العقدية والاقتصادية والسياسية حيث أن الاهتمام بها وبقضاياها يعد اهتماما هامشيا ربما بسبب كثرة المشكلات والتعقيدات التي تكتنفها وربما لأنها لم تجد من يهتم بها، وربما لأن أطرافا كثيرة لها مصلحة في بقاء الوضع الراهن كما هو لحسابات تتعلق بالمصلحة النفعية الانتهازية.

الوثنية والتنصير

الحقيقة أنه لا يوجد أغلى أو أكثر أهمية من المعتقد السليم الصحيح، ولعل أخطر القضايا التي تعاني منها النساء في أفريقيا أزمة المعتقد السليم، فعلى الرغم من أن نسبة المسلمين في قارة أفريقيا هي ٥٣٪ إلا أن الكثير من الأفكار الخرافية ذات الأصول الوثنية تغلغلت في أفكارهم ومعتقداتهم، ومن ذلك اعتقادهم أن الأسلاف الذين ماتوا لهم تأثير على حياتهم، ومن ذلك أيضًا انتشار أعمال السحر وحفلات الزار التي استشرت خاصة في الأوساط النسائية.

ويرى البعض أن المرأة الأفريقية المقهورة والمضغوطة والمعنفة تستغل فكرة الزار بصورة لا شعورية كي تجد متنفسا مما تعانيه، فادعاؤها أنها واقعة تحت تأثير الجان يجعلها موضع شفقة وعدم مساءلة، وحفلات الزار بما تحمله من تجمع كبير يمنحها على نحوٍ ما جوّا من الترفيه الاجتماعي إلا أن استئناسها بالزار يجعلها تتمادى أكثر وتتوغل أكثر في المعتقدات الخرافية وسلوكيات الشعوذة والدجل وتتفاعل مع الأطروحات الوثنية التي تغص بمثل هذه الخرافات وتقدسها ومن ثم فالحاجة ماسة لداعيات مؤهلات

(*) كاتبة مصرية.

لتصحيح عقيدة هؤلاء النساء المسلمات يتقنّ اللغات المحلية ويدركن العادات والتقاليد الحاكمة وهذا لن يتحقق إلا بكون هؤلاء الداعيات من النساء الأفريقيات أنفسهن.

فلابد للقائمين على شئون الدعوة العالمية تبني مشروع طموح لإعداد داعيات محليات يتم تعليمهن أصول العقيدة السليمة بالإضافة طبعا لطرق وأساليب الدعوة، ويكون هذا التعليم تفاعليا حتى تستطيع الداعيات إضافة المقترحات المناسبة للبيئة الأفريقية التي يعملن من خلالها خاصة أنهن لا يعملن وحدهن في هذا المجال بل يواجهن عدوا شرسا بالغ الثراء والإمكانيات وله باع كبير في التربة الإفريقية ألا وهو التنصير: وقد وضعت القوى الصليبية مخططاً حاذقاً لهذا الأمر كما يبين مؤتمر القاهرة التنصيري الذي عقد سنة ١٩٠٦م والذي وضع توصيات محددة للتنصير الصريح للمسلمين في أفريقيا حين أوجب على المنصّر أو المنصّرة واجبات ملزمة نذكر بعضاً منها وهي[١]:

(١) تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.

(٢) مخاطبة العوام على قدر عقولهم.

(٣) العلم بآيات القرآن ومعرفة الإنجيل.

(٤) دراسة القرآن الكريم للوقوف على ما فيه.

(٥) إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم.

(٦) زيارة المنصرات لبيوت المسلمين والاجتماع بالنساء وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية.

فالتنصير في أفريقيا يتحرك ليتوسع في أوساط الوثنيين ولكنه أيضا يحاول التوسع على حساب المسلمين الذين - وفي كثير من الأحيان- لا يعرفون الكثير عن أمور دينهم وهو في هذا السياق يثمن دور المنصّرة لأنه يعرف جيدا كيف تستطيع النساء التأثير في النساء وسهولة الاجتماع بالنساء وعقد جلسات خاصة منفردة بينهن ولابد من وجود داعيات ليواجهن هذا التنصير وهؤلاء المنصرات.

ولعل ما سبق يدفعنا لتأمل بعض أساليب المنصّرين والمنصّرات في أفريقيا حيث غالبا ما نجد المنصرين متواجدين في أوقات النكبات والكوارث التي تكون مضاعفة بالنسبة للنساء لأنهن يتحملن مسئولية أنفسهن كما يتحملن مسئولية أطفالهن وربما أجنة في بطونهن. يكفي في هذا الصدد أن يقدم الطعام لجوعى على وشك الهلاك في غرفة وضع عليها الصليب أو صورة يسوع بزعمهم دون أن ينطق المنصر أو المنصرة حرفا واحدا وعندما يتم التعامل مع السكان المحليين بلطف وتقدم لهم المساعدات.

والمرأة الأفريقية البسيطة التي لا تعرف قدر الثروات الموجودة في بلادها ولا تقدر دور المستعمر في إفقارها واستغلالها هو ونخبته المحلية، فكل ما ستعرفه أنه في هذا العالم القاسي الذي تعيش فيه أن هذه المنصرة هي التي قدمت لها يد المساعدة وستنتظر المنصرة بفارغ الصبر أن تسأل الفتاة الأفريقية لماذا أنتم هكذا؟ مختلفون؟ تعاملوننا بلطف، وتركتم دياركم الثرية وجئتم لتعيشوا معنا هذه الحياة البسيطة، ووقتها فقط ستسعد المنصرة وتبتسم وتقول لها: لأن يسوع أمرنا بهذا، ثم تبدأ معها رحلة التنصير.

وفي هذا السياق لا يمكننا أن ننكر أنهم يبذلون الكثير من الجهد والمال. ولعل المنصر الشهير دانيال كمبوني نموذج لهذا الجهد حيث استقر في جنوب السودان ونجح في تنصير الكثير من أبنائه حتى أصبح هؤلاء المتنصرون الجنوبيون أحد أهم العوامل التي أدت لانفصال جنوب السودان وتمزق السودان وشرذمته، هذا الرجل أطلق شعاره الشهير: أفريقيا أو الموت ومبادرة «إنقاذ أفريقيا بواسطة أفريقيا»، وأعد خطة لإعداد كهنة من الأفارقة أنفسهم وأسس كمبوني مع أسقف فيرونا «معهد من أجل إرساليات أفريقيا الوسطى»، وفي سنة ١٨٧٢م أسس كمبونى رهبانية «الراهبات بي مادري ديلا نجريتسيا» أي أمهات الرحمة للسود أو النيجروز، عدل الاسم لاحقا إلى «راهبات كمبوني للتبشير» وبعد سبع سنوات، أي في سنة ١٨٧٩ قُبلت إحدى الشابات السودانيات كأول راهبة في السودان، ومن هنا أصبح هناك منصرون ومنصرات محليون أكثر قدرة على فهم الواقع الذي

---

(١) د. الناصر أبو كروق، التنصير الحديث في أفريقيا وخلفيته التاريخية وبعض وسائله.

يتحركون فيه، ومن ثم أكثر إنجازا على مستوى النتائج.

التعليم والمستقبل

ترزح قارة أفريقيا تحت نير الجهل نتيجة لعوامل متعددة، يكفي في هذا الصدد أن نعلم (أن نسبة الأميّة في أفريقيا تبلغ أكثر من ٣٠٪ وأن نسبة النساء في هذه النسبة أكثر من ٦٠٪)، بل إن تسع دول أفريقية هي من ضمن الدول العشر الأكثر أمية على مستوى العالم حيث تصل نسبة الأمية في غامبيا إلى ٦٣,٥٪ وتبلغ نسبة المتعلمين في مالي ٢٣,٤٪ وفي سيراليون نسبة الأمية بها تصل إلى ٦٣,٧٪ بينما تقترب نسبة الأمية في الصومال من ٧٣,٨٪، ووصلت الأمية في بوركينا فاسو إلى ٧٧٪، كما تكتظ الفصول بالتلاميذ، إذ يحتوي كل فصل على أكثر من ١٢٠ طالبًا.

تنفق حكومة تشاد ٢٪ فقط من دخلها على التعليم، وتبلغ نسبة سكانها المتعلمين ٣٤,٥٪ ويستطيع ٣٩٪ فقط من سكان إثيوبيا القراءة والكتابة وتبلغ نسبة المتعلمين في جمهورية بنين ٤٢,٤٪ فقط .. أما غينيا فتبلغ نسبة المتعلمين بها نحو ٤١٪، كما أن ٥٢٪ فقط من البالغين يعرفون القراءة والكتابة، ومعظم السكان تحت خط الفقر، لذلك فإن كثيرا من العائلات لا تستطيع شراء الكتب أو الزي المدرسي[1].

فإذا علمنا أن نسبة النساء الأميات أكثر من ٦٠٪ من هؤلاء الأميين لأدركنا كيف ينتشر الجهل وتنتشر الأمية وسط النساء الأفريقيات، لذلك اهتم المنصرون اهتماما خاصا بالتعليم مثل دانيال كمبوني الذي تحدثت عنه سابقا والذي قام بتأسيس عدد من المدارس أطلق عليها اسم مدارس كمبوني، وطبعا كان للاستعمار دور مهم في تمكين المنصّرين في مجال التعليم حيث فتحت القوى الاستعمارية الباب على مصراعيه للمبشرين النصارى من كل مذهب وملّكتهم وسائل التعليم لحد كبير حتى كان ٩٥٪ من التعليم في إفريقيا جنوب الصحراء تحت إشراف الكنائس والبعثات التبشيرية، وقد هدفت البعثات التبشيرية في تلك المرحلة إلى:

(أ) المساهمة الفاعلة في تعليم المسيحيين في الدول الأفريقية مختلف أنواع المعارف الإنسانية التي تمكّنهم - دون سواهم- في المستقبل من تسيير دفة الأمور في البلاد.

(ب) إعداد طبقة من سكان البلاد الإفريقية إعداداً فكرياً ونفسياً واجتماعيا ليكونوا في خدمة المستعمرين والمبشرين حتى يمكن نشر المسيحية على أوسع نطاق.

(ج) تنصير أكبر عدد ممكن تنصيرا مباشرا لتغيير التركيبة السكانية نهائياً لصالح النصرانية[2].

هذه النخبة المتعلمة التي درست في مدارس التنصير هي التي تسلمت الحكم بعد رحيل الاستعمار رغم أنها غالبا ما تكون من الأقليات في بلدها ومن ثم سعوا لخلق مجتمع أفريقي على الطريقة الغربية فسارعوا للموافقة على كل ما جاء في المؤتمرات الأممية المتعلقة بالمرأة، وأصبحت المرأة الأفريقية أسيرة بين الجهل والخرافات من جهة، وبين النموذج التغريبي من جهة أخرى، وأصبح لزاما على الإسلاميين المعنيين بالشأن الأفريقي أن يتوسعوا في إنشاء المدارس الإسلامية التي تمزج بين العلوم الحياتية المختلفة وبين دراسة تعاليم الإسلام، وألا يفرقوا في مدارسهم هذه بين الذكر والأنثى لأي أسباب سياسية أو قبلية عرفية لأن التعليم سيجعل عقول النساء مستنيرة تأبى الخرافات سواء جاءت من الوثنية الأرواحية التقليدية أم جاءت عبر خرافات الكنيسة والتنصير أو حتى من أدعياء الحداثة.

الصحة والاقتصاد

هناك أمراض كثيرة تفتك بأفريقيا وبالنساء فيها حتى أثرت على نوعية الحياة فيها، فيكفي أن نذكر في هذا الصدد انتشار الإيدز بإفريقيا، ففي

(١) هذه الأرقام نقلا عن موقع أخبار ٢٤.

(٢) د. الناصر أبو كروق، مصدر سابق.

دولة جنوب أفريقيا يوجد أكثر من ٥ ملايين مصاب بالفيروس، وهي الأولى عالميا، تليها الهند. وفي أفريقيا جنوب الصحراء التي يعيش بها عُشر سكان العالم فقط يوجد ٦٠ في المائة من المصابين بفيروس الإيدز في العالم أجمع، وقد توفي ما يقدّر بنحو ٢,٤ مليون شخص بأمراض متعلقة بالإيدز في عام ٢٠٠٥ في أفريقيا جنوب الصحراء وأصبح ٣,٢ مليون شخص آخرين مصابين بالفيروس الذي ينتقل عن طريق ممارسة الجنس واستعمال إبر الحقن لأكثر من شخص كما ينتقل من الأم إلى الطفل أثناء الولادة أو الرضاعة.

بل إن مرض مثل الملاريا هو القاتل الأول في أفريقيا وسبل مواجهته أسهل بكثير من الإيدز وعلى الرغم من ذلك يزداد توغلا وفتكا خاصة بالأطفال الصغار أقل من ٥ سنوات.

ومن المعروف أن المؤسسات التنصيرية استغلت الوضع الصحي ففتحت المستشفيات والعيادات المتنقلة وبذلت جهدا كبيرا لربط هذه الخدمات بمشروع التنصير الكبير، ومن المعلوم أن قارة أفريقيا كانت بعيدة عن النصرانية حتى عصر الاستعمار عندما ارتبط التنصير بالاستعمار الذي نهب خيرات القارة حتى بعد رحيله، فبرغم ما تنعم به القارة من ثروات ضخمة فإن ٥٩٪ من سكانها يعيشون تحت خط الفقر.

وتصنّف إحدى وعشرون دولة إفريقية تحت بند الدول التي تفتقر إلى الأمن الغذائي من بين سبع وثلاثين دولة في العالم تصنف تحت هذا البند، ولا شك أن هذا كله انعكس على المرأة الأفريقية التي تعاني - بجانب الجهل- من المرض ومن الفقر رغم أنها تعمل في كثير من الأحيان لنحو ١٦ ساعة ما بين جلب المياه من مناطق بعيدة والعمل في الحقل ورعي الأغنام وأعمال المنزل من طهي وتنظيف.

وعلى الرغم من هذا الجهد الشاق تعيش هذا الفقر على كافة المستويات وتمنعها العادات والتقاليد من تملك الأرض، لذلك يجب أن نعرّفها بحقوقها التي منحتها لها الشريعة، ليس هذا فحسب، بل لا بد من منظمات إسلامية تتبنى هذه الأفكار وتطبقها وتنزلها على أرض الواقع تدريجيا، فمِن حق المرأة الأفريقية أن نلتفت لها لأننا مأمورون بذلك وألا نفكر بنهج البرجماتية التي تهتم بالمرأة الغربية وتراها إضافة تستحق الجهد بينما نقلل من شأن الأفريقية لأنها ملغمة بالمشكلات.

الاتفاق النووي في الصحافة الجزائرية كتاب الرأي نموذجا

بوزيدي يحيى(*)– خاص بالراصد

نظرا لما تثيره سياسات إيران تجاه المنطقة العربية من جدل لتصادم الرؤى حولها فإن الوقوف عند طريقة تناول الصحافة لموضوع الاتفاق النووي مع القوى الغربية يشكل نافذة مهمة لرصد مختلف زوايا النظر. وفي حالة الدول المشرقية فإن تأثرها المباشر بالاتفاق سواء بالنسبة لدول الخليج المعنية بالملف النووي بحد ذاته أو باقي الدول التي سيكون للاتفاق تداعيات على أمنها القومي فإن المواقف محسومة بين حلفاء لإيران مؤيدين له، وآخرين معارضين له.

ولكن في الحالة المغاربية، والجزائر من بينها، غير المعنية مباشرة بالاتفاق النووي، فإن طريقة تناول صحافتها للموضوع تؤشر بطريقة ما إلى التوجهات الأيديولوجية أو السياسية على الأقل التي توجّه مواقف النخب الجزائرية من القضايا المشرقية، لأنه غالبا ما يعكس الإعلام التوجهات الأيديولوجية في أي دولة من خلال عرضه لمواقف النخب التي تتباين وتتضارب حيال المسائل التي تشغل مجتمعاتها، كما تتيح فرصة لفهم منظور مجتمعات هذه المنطقة للعلاقة مع إيران، خاصة كتاب الرأي الذين لا يتوقفون عند الخبر وإنما يبحثون في أبعاده السياسية. بناء على هذا نطرح الإشكالية التالية:

- كيف تناول كتاب الرأي في الصحافة الجزائرية موضوع الاتفاق النووي الإيراني؟

الصحافة الجزائرية وخبر الاتفاق:

قبل الولوج إلى تحليل مضمون مقالات الرأي

(*) كاتب جزائري.

للاتفاق النووي نقدم في البداية لمحة شاملة لطريقة تناول الصحافة الجزائرية خبر الاتفاق بشكل عام[1]. وأولى الملاحظات في هذا المجال أن كل الجرائد أشارت إلى الموقف الرسمي الجزائري من خلال بيان وزارة الخارجية الجزائرية التي أعربت عن ارتياحها لتوقيع الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة ٥+١، واصفة إياه بالتاريخي، والذي مثل فوزا كبيرا للدبلوماسية والحوار كونه يشكل خيارا حاسما لصالح السلم والأمن الدوليين، وما سيسفر عنه من آفاق للاستقرار والتنمية لبلدان وشعوب المنطقة.

باستثناء هذا اكتفت كل الجرائد تقريبا بعرض أهم بنود الاتفاق التي أوردتها وكالات الأنباء الدولية ونقلت تقارير عنها، سواء من حيث البعد الاقتصادي وآثاره على الاقتصاد الإيراني والعالمي، وبشكل خاص أسواق النفط، أو البعد السياسي في شقيه الدولي والداخلي على غرار تصريحات خامنئي التي تعهد فيها بالتصدي لأمريكا رغم الاتفاق النووي، والصراع بين الرئيس الأمريكي باراك أوباما والكونغرس. وكانت جريدة الشعب العمومية هي مَن خصص مساحة كبيرة للموضوع شملت صفحتين كاملتين أحاطت بجلّ جوانبه تقريبا[2].

أما فيما يتعلق بالحوارات حول الموضوع فقد كانت نادرة جدا لم تتجاوز السبعة، وردت في ثلاثة جرائد فقط، وثلاثة منها في الخبر والشروق مع خبراء أجانب، واثنان فقط في جريدة الحياة مع خبيرين اقتصاديين جزائريين. حيث أجرت الخبر في عددها ليوم الأربعاء حوارين، الأول مع المحلل السياسي اللبناني وسام سعادة الذي قال إن الاتفاق سينعكس إيجابا على الحروب الأهلية الحاصلة في المنطقة، لكن هذا لا يعني أن الأمور ستهدأ كليا أو تمحي داعش، ولا أن يكون هناك سلام في الشرق الأوسط، ونبه إلى أن الاتفاق سيسمح لإيران بالتغلغل ونشر التشيع إضافة إلى تكريس نفوذها في العراق.

ومن جانبه أشار الخبير المصري في الشؤون الإيرانية محمد محسن أبو النور في الحوار معه إلى أن الاتفاق لن يؤثر على مجموعة الأوبك وخاصة الجزائر التي تربطها علاقات وطيدة مع طهران، في حال ضخت نفطها في السوق بالتدرج[3].

وفي العدد التالي أجرت حوارا أيضا مع الخبير الاقتصادي اليمني محمد جبران الذي أشار إلى تأثر أسواق النفط سلبا بالاتفاق وانخفاضه إلى قرابة ٤٤ دولارا للبرميل، كما أشار إلى سيطرة الحرس الثوري على مفاصل الدولة وبالتالي غلبة المشروع السياسي والعسكري على الاقتصادي، وتوظيف إيران لمواردها في الحروب والتشيع في إفريقيا[4].

من جانبها أجرت جريدة الشروق حوارين مع المحلل السياسي الإيراني حسن هاني زاده الذي دافع عن المكاسب الإيرانية من الاتفاق وحاول تقديم رؤية إيجابية على العلاقات الإيرانية العربية من خلاله، في حين أشارت الباحثة بمركز الجزيرة للدراسات فاطمة الصمادي إلى احتمال وجود بنود سرية في الاتفاق وإمكانية تقديم إيران لاحقا تنازلات قد يكون من بينها التخلي عن بشار الأسد[5].

أما جريدة الحياة فقد ركزت على الآثار الاقتصادية للاتفاق وانعكاساتها على الجزائر، فنقلت عن الخبير الاقتصادي كمال رزيق أن الاتفاق سيتمخض عنه ظهور قوّتين عظميين: السعودية التي بقي سلاحها البترول، وإيران

(١) شملت العينة اثنتي عشرة جريدة يومية في عدديها ليومي الأربعاء والخميس ١٥ و١٦ جويلية (يوليو/ تموز) ٢٠١٥، وهي: الحياة، المستقبل، الرائد، الشعب، الجمهورية، الخبر، الشروق، الصوت الآخر، الحوار، صوت الأحرار، الشعب، التحرير.

(٢) جريدة الشعب الجزائرية، العدد ١٦٧٧٤، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ٢٠- ٢١.

(٣) الجزائر تصف اتفاق فيينا بالتاريخي، جريدة الجمهورية، العدد ٧٨٥٣، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ١١.

(٤) زيادة الإنتاج الإيراني سيخفض سعر البرميل إلى ٤٤ دولارا، جريدة الخبر الجزائرية، العدد ٧٨٥٤، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ١٠.

(٥) جريدة الشروق الجزائرية، العدد ٤٧٩٩، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ١٠.

(اليورانيوم) ما سيؤثر اقتصاديا بشكل مباشر على الجزائر، حيث أن السعودية ستزيد العرض من البترول ما ينجم عنه خفض أسعار هذا الأخير إلى أدنى مستوياته، وبذلك ستدفع الجزائر فاتورة حرب اقتصادية بين الطرفين، كما وصف الخبير الاقتصادي عبد الرحمن مبتول الاتفاق النووي بالنقمة على الجزائر لأنه سيضطرها إلى خفض معدل الإنفاق الحالي وتغيير سياستها الاقتصادية لأجل تفادي تجربة مماثلة لعام ١٩٨٦[١].

كتاب الرأي والاتفاق النووي:

من بين الاثنتي عشرة جريدة التي شملتها الدراسة كانت هناك أربع عشرة مقالة رأي تناولت موضوع الاتفاق النووي، أي بمعدل مقالة تقريبا في كل جريدة، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن من بينها أربع مقالات لكتاب رأي غير جزائريين. فقد نقلت جريدة الصوت الآخر مقالتين، الأولى للكاتب الفلسطيني عبد الباري عطوان: (اتفاق ليلة القدر الإيراني الأمريكي)، والذي لم يخرج عن إطار آرائه المعهودة، والتي تصب جلّها في اتجاه انتقاد الأنظمة العربية والإشادة في المقابل بطهران، أما الثانية فهي للإعلامي التونسي بقناة الجزيرة محمد كريشان: (اليوم الموالي للاتفاق مع إيران)، نقل فيه تصريحات خبراء وكتاب حول التداعيات المستقبلية للاتفاق النووي[٢].

كما نقلت جريدة التحرير هي الأخرى مقالتين، الأولى لعامر نعيم إلياس من جريدة البناء تحت عنوان: (نهاية القطيعة)، عرض فيه الانعكاسات الإيجابية للاتفاق على إيران، والمقالة الثانية لمحمد علي فرحات من جريدة الحياة تحت عنوان: (الاتفاق النووي يكتمل عربيا)، خلص فيه إلى ضرورة أن تستعين إيران بصداقة العرب بانتهاج سياسات تحافظ على الأمن والاستقرار في المنطقة وما يتطلبه ذلك من تراجعات لها في الدول الخاضعة لنفوذها لاستكمال أهداف الاتفاق النووي[٣].

ومقالة للكاتب الموريتاني سيد أعمر ولد شيخنا نقلتها يومية الرائد تطرق فيها إلى العلاقات العربية الإيرانية ولكن ليس من جانب الملف النووي وإنما موقف إيران من الربيع العربي وأهداف طهران من حربها عليه[٤].

أما المقالات الجزائرية التي سنركز عليها فكانت كلها إيجابية من الاتفاق باستثناء مقالتين للكاتب حسان زهار تناول فيها الموضوع من زاوية سلبية كما سنفصله تاليا.

الآراء الإيجابية:

اتسمت المواقف الإيجابية من الاتفاق النووي بالتركيز على تداعياته على المسرح الدولي وما اعتبرته انتصارا إيرانيا على القوى الغربية وكسب نقاط ضد الكيان الصهيوني، وفرص الاستقرار والسلام في الشرق الأوسط، والإشادة بإيران وإنجازاتها مقابل انتقاد الأنظمة العربية وتوجيه بعض الدروس من الاتفاق.

نستهل قراءتنا لمضمونها بافتتاحية جريدة الشروق التي كتبها الفلسطيني صالح عوض تحت عنوان (مفاوضات بطعم البارود)، شبّه فيها المفاوض الإيراني بالمفاوض الجزائري في إفيان التي توجت باستقلال الجزائر، وبعد كيل الكثير من المديح لإيران وكيف حققت هذا الإنجاز في عز تناقضها مع السياسات الغربية وخاصة فلسطين! أكد على أن الاتفاق سيفتح الباب للمستضعفين في كل مكان لاستلام حقهم في امتلاك الطاقة والتكنولوجيا النووية[٥].

وفي اليوم التالي جاءت افتتاحيتها أيضا حول الاتفاق النووي فكتب رشيد ولد بوسايفة: (حِداد في إسرائيل) أن الاتفاق النووي سيدفع إلى إيجاد حلول توافقية كمحصلة لتحسن العلاقة بين إيران والغرب في الدول التي تشهد نزاعات لها علاقة بالنفوذ الإيراني، والدرس الذي يقدمه للعرب من خلال الاتفاق أن الغرب يتحرك وفق المصلحة وأن

---

(١) جريدة الخبر الجزائرية، العدد ٧٨٥٣، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ٠٣.

(٢) جريدة الصوت الآخر الجزائرية، العدد ٦٦٢، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ٠٨.

(٣) جريدة التحرير الجزائرية، العدد ٦٨٥، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ١٩.

(٤) سيد أعمر ولد شيخنا، الديمقراطية عقدة إيران مع الربيع العربي، جريدة الرائد الجزائرية، العدد ١٠٠٦، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ١٤.

(٥) جريدة الشروق الجزائرية، العدد ٤٧٩٩، ٢٠١٥/٠٧/١٥، بتاريخ ص ٠٢.

العلاقة الحميمة التي تربط بعض الدول العربية المحورية مع الغرب ليست حصانة أبدية، خاصة إذا كانت هذه العلاقة مبنية على تنازلات جوهرية تصل حد العمالة والتآمر على حق الشعب الفلسطيني في استرداد حقوقه. وبعد هذا يطرح سؤالا: كيف لا يتم استيعاب إيران والاستفادة منها كقوة إقليمية داعمة للقضية الفلسطينية فيما يتم الترحيب بالدور الغربي الداعم جهارا نهارا لإسرائيل بل والتآمر معه والعمالة له؟!

ثم يستغرب الهمّ والغمّ من الإنجاز الإيراني بينما لا نسمع أحدا يحتجّ ولو همسا على الترسانة النووية الإسرائيلية القادرة على تدمير كل العواصم العربية في بضع دقائق؟ ويختم المقالة بتساؤل آخر عن احتمالات تقارب عربي مع العملاق الإيراني يقدم القضايا المشتركة بدل التناحر وحروب الوكالة بين الطرفين؟[1].

وفي الصفحة الأخيرة من نفس العدد كتب عمار يزلي: (إيران التي تخيف الجميع) بأسلوبه الساخر يستغرب رفض دولة خليجية (إشارة إلى المملكة العربية السعودية) للاتفاق كما لو أنه -يتساءل- موجّه لمدنها، مستغربا تخوفها، واضعة بذلك نفسها إلى جانب إسرائيل التي رفضت الاتفاق أيضا[2].

أما نجيب بلحيمر في جريدة صوت الأحرار فقدم هو الآخر دروسا للعرب في: (اتفاق وفرص)، أولها أن الاستسلام ليس بالضرورة الخيار الأسلم، وأن الخضوع لأمريكا وإملاءاتها ليس بالضرورة الخيار الأفضل، والبراغماتية لا تعني أبدا التفريط في المصالح الوطنية، والتبعية لا يمكن أن تكون أساسا لأي مشروع نهضة. وأن الدرس الأهم فيما حدث هو أن إيران انتزعت اعترافا بها كقوة إقليمية وكشريك كامل في إعادة ترتيب شؤون المنطقة. والاعتراف الأمريكي بعدم جدوى استعمال القوة العسكرية ضد إيران هو إعلان بداية تحول كبير في السياسة الدولية ستكون له تداعيات

(١) جريدة الشروق الجزائرية، العدد ٤٨٠٠، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ٠٢.
(٢) جريدة الشروق الجزائرية، العدد ٤٨٠٠، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ٢٨.

كبرى على العرب قبل غيرهم، وبناء على ذلك فما عاد للعرب من خيار غير التعامل مع إيران كشريك في المنطقة، فالجغرافيا لا يمكن تجاوزها والمصالح المشتركة بين العرب وإيران أهم بكثير من القضايا الخلافية، ولا سبيل لتأمين المنطقة وحفظ استقرارها إلا الشراكة مع إيران[3].

وفي عموده الساخر (حوار مع إبليس) كتب عامر دراجي: (العربان بين الفرس والماريكان) أن ليلة القدر هذا العام من نصيب الروافض الشيعة المجوس كما يسميهم (خاوتنا السنة) ويضيف بأنه لا يظن أن الدول التي تَنسب نفسها إلى العالم السني ستلتقي بليلة القدر في السنوات المقبلة، وربما بعد قرون يكون ذلك ممكنا، والسبب أن الأيام القادمة ستكون لا محالة أيام نصر وأفراح للشيعة الروافض، وأكبر دليل اتفاق فيينا بين العظماء وإيران، في الوقت نفسه الذي يعاني فيه عربان السنة من ويلات حروب ونزاعات وأزمات لا قِبل لها[4].

وكتب أمين بلعمري في جريدة الشعب العمومية تحت عنوان (الانفراج) عن انعكاسات الاتفاق على العلاقات الدولية وخاصة النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط، ليعرج على فشل إسرائيل واللوبي الإسرائيلي في منع الاتفاق، وأيضا دور أوباما من خلال التلويح بالفيتو الرئاسي ضد الكونغرس، مشيرا إلى نجاح إيران في فك الغرزة الدبلوماسية بعدما تخلت عن طموحاتها النووية العسكرية (لم تدّعِ إيران يوما هذا) وبقاء إسرائيل المهدد الوحيد لأمن المنطقة لامتلاكها السلاح النووي[5].

وفي جريدة الحياة كتب معمر حبار: (إيران ومقعد الكبار)، والمقالة نفسها أعيد نشرها في جريدة الحوار تحت عنوان (بيننا وبينهم ... إيران ومقاعد الكبار)[6]. وكما هو واضح من العنوان

(٣) جريدة صوت الأحرار، العدد ٥٣١١، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ٢٤.
(٤) جريدة الحوار الجزائرية، العدد ٢٥٣٥، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ٢٤.
(٥) جريدة الشعب الجزائرية، العدد ١٦٧٧٤، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٥، ص ٢٠.
(٦) جريدة الحوار الجزائرية، العدد ٢٥٣٦، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ٢٤.

أصبحت إيران من الكبار والعقبى للصغار، - يكتب ساخرا- وقارن بين المفاوض العربي والإيراني، فأرجع كل الهزائم العربية لمفاوضها الخائن الفاشل، بينما أدخل المفاوض الإيراني الشرس المتوحش بلادَه نادي الكبار. ثم انتقل للمقارنة بين المفاوض الجزائري والمفاوض الإيراني، فالأول يصرّ على عدم تجريم المستعمر الفرنسي باسم معاهدة إيفيان التي رضي بذلّها واستكان لها، والثاني يصر على إدراج اسمه ضمن الكبار وينال احترامهم. ويحيل إلى الموقف الفرنسي من الطرفين وكيف تُفاوض فرنسا الإيراني لتمنحه راضية لقب الكبار بينما الجزائري يزيل عن فرنسا راضيا لقب الاستعمار. ليدخل بعدها في مقارنة (جلد للذات) وكيف تتشبث إيران بالكرسي النووي بينما خلفاء الله في الأرض من العرب يتشبثون بكرسي الحكم، وغيرها من المقارنات التي تنتقد واقع الحكام العرب وتخاذلهم على عكس حكام إيران[١].

الآراء السلبية:

اقتصرت المواقف السلبية من الاتفاق النووي كما سبق الإشارة على مقالتين للكاتب حسان زهار في جريدة الحياة جاءت الأولى تحت عنوان: (هل نفرح بالاتفاق النووي؟)، استغرب فيها تهليل بعض الجزائريين للاتفاق النووي كما لو أن الحصار الاقتصادي رفع عن الجزائر، وأن مفاعل عين وسارة هو من سيخصّب اليورانيوم المنضب.

ووصف الاتفاق بأنه تسليم أمريكا والدول الست العالم العربي على طبق من ذهب لإيران التي كانت دولة مارقة وإرهابية لتصبح حليفة لتسرح فيه وتمرح كما تشاء لحساب مشروعها الإمبراطوري، والذي سيكون بموجبه الفرحون بهذا الاتفاق من بين عبيده. كما ذكر بأن الخسارة الاقتصادية ستكون كبيرة بالنسبة لنا كجزائريين لأن إغراق إيران السوق العالمي بنفطها سيدفع بالمزيد من الانهيار في أسعار السلعة الوطنية الوحيدة التي تبقينا على قيد الحياة مما يتسبب في خلق قلاقل اجتماعية مهددة للاستقرار على المستوى المتوسط والبعيد[٢].

وفي المقالة الثانية التي كانت تحت عنوان: (غرداية.. والاتفاق النووي الإيراني)، تطرق إلى تناسي بعض الجزائريين فجأة كارثة غرداية، وتهليلهم لما حدث في فيينا، ولولا طول المسافة لكان خلق كبير من بيننا -يضيف الكاتب- في طهران يحتفل مع الإيرانيين بهذا الاتفاق على رأس العرب، ويعيب كيف نست من وصفها بـ (جماعة إيران في الجزائر) النار المشتعلة في وطنها وراحت تقيم الأفراح على اتفاق هو في الأصل دليل على الخراب القادم للأمة جمعاء، وليس في الجزائر أو غرداية وحدها[٣].

الخلاصة:

١- جريدة الحياة كانت الأكثر توازنا في تناول خبر الاتفاق، وهي من وقف عند تأثيره على الجزائر، الأمر الذي غاب بشكل عام في الجرائد الأخرى، من خلال عرض تصريحات الخبراء الاقتصاديين الجزائريين، وحتى بالنسبة لمقالات الرأي من قبل حسان زهار. كما انعدمت الإشارة إلى تأثيراته على الدور الإقليمي للجزائر، وربطه بالقضايا الجزائرية الداخلية انحصر في إشارات نفس الكاتب لأزمة غرداية والهموم الوطنية التي نسيها فجأة من يصفهم بـ (حزب إيران) ومسارعتهم للتهليل بالاتفاق النووي، وأيضا مقارنة معمر حبار – في نفس الجريدة- للعلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال دور باريس في المفاوضات وطريقة تعاملها مع إيران، مقابل المفاوض الجزائري الذي فرّط في حقوقه ولا يلزم نفسه بإدانة المستعمر فضلا على أن ينتظر منه شيء من ذلك.

٢- جريدة الشروق كانت الأكثر انحيازا لوجهة النظر الإيرانية من خلال افتتاحيتيها اللتين تناولتا حصرا الاتفاق النووي مع عدم وجود مقالات أخرى حول الموضوع، وعموما معروف عن الكاتبين هذا التوجه خاصة الفلسطيني صالح عوض الذي لا

(١) جريدة الحياة الجزائرية، العدد ٤٩٦، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ١٨.

(٢) جريدة الحياة الجزائرية، العدد ٤٩٦، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ٠٢.

(٣) جريدة الحياة الجزائرية، العدد ٤٩٦، بتاريخ ٢٠١٥/٠٧/١٦، ص ١٤.

ينفك عن الإشادة بإيران في جل كتاباته والدفاع عن سياساتها ضد الدول العربية.

٣- تتسم بعض الكتابات، خاصة الساخرة منها، بكثير من السطحية في تناول السياسات الإيرانية تجاه المنطقة العربية، إذ لا يأخذ الكتاب الجزائريون بعين الاعتبار الأوضاع الداخلية في إيران ويصورون الاتفاق على أنه إنجاز كامل لها ويغفلون على سبيل المثال لا الحصر أن تأزم الأوضاع الداخلية وانهيار الاقتصاد الإيراني والنسبة الكبيرة من التضخم جراء العقوبات كانت من أسباب توقيع الاتفاق، وأن بحث الرئيس الأمريكي عن إنجاز يخلد عهديه من الدوافع أيضا.

٤- لم توجه في المقالات الإيجابية أي انتقادات لمواقف إيران من الأزمات العربية، ولا النظر لها كمتسبب ومؤجج لتلك الأزمات رغم مجاهرة طهران وحلفائها بذلك في سوريا والعراق واليمن، ومرور أكثر من أربع سنوات على بداية ما وصف بحرب (إيران على الربيع العربي)، وهي كفيلة بإزالة غشاوة العقود السابقة من وهم الممانعة والمقاومة خاصة بالنسبة لنخبة مثقفة، المسافة الجغرافية الفاصلة بينها وبين المشرق تتيح لها فرصة القراءة الموضوعية للقضايا.

٥- رغم أن إيران هي المعتدي على المنطقة وهي المتدخل في الشؤون العربية إلا أن الكتابات صبّت باتجاه تحميل الدول العربية المسؤولية ومطالبتها بالاستسلام لهذا الدور الإيراني.

٦- تراجع الدعم الإيراني لحماس واضطراب العلاقات بين الطرفين خلال السنوات الماضية وتورط حزب الله في سوريا لم تكن كافية لكُتاب الرأي للحديث على الأقل بتحفظ عن دعم إيران لفلسطين والتشكيك في حقيقة ذلك، فضلا عن دورها في العراق وطبيعة علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تجعل أي كاتب يفكر كثيرا قبل ترديد خطاب المرشد الأعلى عن عداوته لأمريكا والتعامل معه كحقيقة مطلقة لا تقبل النقاش.

قادة الأكراد والتوظيف ضد الأمة

عامر عبد المنعم(*)– خاص بالراصد

انفجرت المشكلة الكردية فجأة في وجه الأمة، وبدلا من أن يكون الشعب الكردي المسلم جزءا من العالم الإسلامي في حركته لمواجهة العدوان الخارجي الغربي والهجوم الطائفي الإيراني الشيعي أصبحنا أمام وضع جديد يقف فيه مَن يتحدثون باسم القضية الكردية في الحلف المعادي.

التطورات التي تشهدها تركيا حاليا والمواجهة مع حزب العمال الكردي تعيد ملف الأكراد إلى الواجهة بصورة أكثر إثارة عن ذي قبل، فالأكراد الذين انتفضوا ضد مصطفى كمال أتاتورك الذي أسقط الخلافة وثاروا بقيادة العلماء لاستعادة الخلافة، يحارب بعض أحفادهم اليوم ضد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وحزب العدالة والتنمية لإسقاط الحكم الإسلامي!

هذه المفارقة تثير التساؤل حول هذا الانقلاب في طبيعة النخبة بالمجتمع الكردي، وتجعلنا في حيرة أمام اختطاف اليساريين والشيوعيين المشهد وزعامة الأمة الكردية المسلمة المعتزة بدينها، فكيف تبدلت القيادة من حال إلى حال، وانتقلت من علماء الدين والمساجد إلى أحزاب وتيارات اليسار الكارهة لدينها والمتحالفة مع الصليبيين والشيعة واليهود ضد الحاضنة الكردية المسلمة والمحيط العربي المسلم.

من خلال المتابعة للتطورات المتعلقة بالأكراد فإن التحرك العسكري ضد حزب العمال الكردستاني لم يكن مبادأة واستباقا من الحكومة التركية بالقتال، وإنما جاء كرد فعل لتحركات عسكرية وعمليات مسلحة كردية في تركيا وسوريا لفرض واقع جديد يصب في صالح مخطط التقسيم الذي تقف خلفه قوى صهيونية

(*) كاتب مصري.

صليبية تستغل مطالب الأكراد بإعلان وطن قومي وتوظيفها في إطار استراتيجيتها التفكيكية.

تركيا

في تركيا تخلى حزب العمال الكردستاني PKK عن الاتفاق الذي أبرم في ٢٠١٣ بين حزب العدالة والتنمية وعبد الله أوجلان زعيم الحزب والذي أوقف الصراع الدموي الذي استنزف تركيا وفتح آفاقا جديدة جلبت السلم بين الطرفين، واندفع مقاتلو الحزب يتناغمون مع التوجهات الخارجية ضد أردوغان، وراحوا ينفذون عمليات مسلحة ضد الشرطة والجيش ومباني الحكومة في شرق تركيا حيث الوجود الكردي للحزب المتمرد ومعاقله الرئيسية.

تواكب مع هذه العمليات تنكر القيادات السياسية الكردية لأردوغان عقب فوزهم في الانتخابات البرلمانية التي أجريت مؤخرا وتخطى فيها الحزب الكردي نسبة الـ ١٠٪ لأول مرة وتحقيق نتائج طيبة أحدثت حالة من التفاؤل المؤقت الذي لم يستمر، وأعلن قادة حزب الشعوب الديمقراطي وقوفه ضد الحزب الحاكم وانحاز للأحزاب العلمانية والقومية الأخرى المتوافقة هي الأخرى مع القوى الخارجية لإسقاط الحكم المتصالح مع الإسلام.

سوريا

على الصعيد السوري قام حزب الاتحاد الديمقراطي PYD بالتحرك العسكري للتأسيس لدولة كردية في الشمال السوري وسعى لتوحيد المنطقة الشمالية من الحسكة إلى أقصى الغرب بما فيها المناطق التي يقطنها العرب والتركمان، ولكن الغضب التركي انفجر عندما اجتاحت الميليشيا الكردية تل أبيض التي تمنع التواصل الكردي بين الحسكة وكوباني.

هذا التحرك الكردي في تركيا وسوريا أضاف تحديا جديدا تواجهه المنطقة يمثل تهديدا بالغ الخطورة لا يقل عن التهديد الشيعي والتوسع الإيراني الذي يهدف إلى إقامة إمبراطورية فارس الغابرة، فكلا المشروعين: الإيراني الشيعي والكردي القومي الانفصالي مرتبطان بالوجود العسكري الغربي الاحتلالي ويستعينان بالقوة العسكرية الغربية لتحقيق حلميهما.

المشروعان الشيعي والكردي

عندما نتحدث عن خطورة التحركات التي تقوم بها الأحزاب الكردية اليسارية في تركيا وسوريا فإننا نطرح الموضوع للفت الانتباه إلى هذا التحدي الجديد الذي يتم توظيفه من القوى المعادية في لحظة تاريخية يعاني فيها العرب والمسلمون من التفكك والصراعات على السلطة أفقدتهم الكثير من عوامل قوتهم التي كانت في السابق، لكن خطر التحرك الكردي لا يتساوى بالتأكيد مع الخطر الإيراني.

ونحن عندما نحذر من خطورة التحولات الكردية ندعو للبحث عن استراتيجية للاحتفاظ بالأكراد كجزء حيوي من أمتهم، ومنع الغرب من تجنيدهم واستخدامهم بما يضرهم ويؤذي أمتهم، فإذا استمر خروج هذه التحركات عن السيطرة فالمنطقة مقبلة على تفجير جديد وعنصر هدم يضاف إلى ما تواجهه الأمة من تهديدات.

بمقارنة مختصرة يمكن أن نفرق بين المشروعين الإيراني الشيعي، والكردي الانفصالي على النحو التالي:

- إيران وشيعتها مشروع عرقي طائفي يعيش على فكرة الثأر من العرب، أي أنه جزء منفصل عن الأمة بمعناه العقدي، بينما المشروع الكردي الانفصالي استثنائي ومؤقت لأنه مرتبط باللحظة الحالية ووجود القوى الخارجية الداعمة له وهو يفتقد الإجماع بين الشعب الكردي المسلم السني المتمسك بعقيدته.
- الشيعة قيادة وشعبا ضد الأمة، وتتحرك إيران ككتلة واحدة تمثل الفرس تعيش أحلاما باستعادة الإمبراطورية القديمة والانتقام من السنة، بينما قيادة الكرد الحالية المرتبطة بإيران وإسرائيل والولايات المتحدة والغرب لا تمثل كل الشعب الكردي في تركيا وفي سوريا ولا حتى في كردستان العراق، والسيطرة الحالية للأحزاب مفروضة بقوة السلاح والحماية الخارجية.
- المشروع الإيراني يسعى لنشر التشيع بالسيطرة على الأرض بالقوة العسكرية بينما الكرد مسلمون سنة تراودهم أحلام الاستقلال لوقف الظلم الذي تعرضوا له بفعل الحكومات

العلمانية بدعم غربي.

- المشروع الإيراني مشروع فارسي توسعي بينما الكرد مشروع انفصالي انسحابي لإقامة حكم ذاتي تمهيدا لدولة كردستان الكبرى.

- المشروع الإيراني قائم بذاته ومستقل بقوته العسكرية حيث ورثت ثورة الخميني قوة الدولة التي تركها الشاه، وهذه القوة هي التي جعلت عملية ترويض الإيرانيين صعبة وليست بالسهولة مثل باقي دول، في حين أن المشروع الكردي الانفصالي يعتمد بشكل شبه كلي على القوى الخارجية المعادية للأمة.

ولكن في إطار صراعها مع الأمة تقوم إيران بدعم قادة الكرد الجدد وتقديم الدعم لهم لتضمن حرمان الثورة الكردية في إيران من الحلفاء، واحتواء الأكراد الإيرانيين السنة الذين يقاومون الحكم الفارسي ويحلمون بالخلاص من الاحتلال الإيراني ووقف المذابح التي يتعرضون لها بشكل دائم برعاية غربية.

ومن الملاحظات الجديرة بالنظر أن الغرب الذي يقف الآن خلف التمرد في تركيا والمتحالف مع أكراد سوريا ويقدم كل الدعم للدولة الكردية في كردستان العراق وقف بشكل سافر ضد الأكراد في إيران، حيث تقف أوربا وأمريكا في تحالف استراتيجي مع الإيرانيين الفرس ضد الأكراد السنة وتدعم إيران كشرطي لمنطقة الخليج، وهذا الموقف منذ تمكين بريطانيا العائلة البهلوية من حكم إيران بداية القرن الماضي.

الغرب والتنكيل بالأكراد

الأكراد من الشعوب التي تم التنكيل بها عقب الحرب العالمية الأولى، فالقوى الاستعمارية لم تنس لصلاح الدين الأيوبي الكردي الذي وحد الأمة الإسلامية وحرر القدس من الصليبيين، كما لم ينس الغرب دور الشعب الكردي في الدفاع عن الخلافة العثمانية والدفاع عن الإسلام.

لقد انتقمت بريطانيا وفرنسا من الأكراد بتقسيم كردستان وتمزيقها بين أكثر من دولة في اتفاقية سايكس بيكو ليتفرق الكرد في إيران والعراق وسوريا وتركيا وروسيا، ووضعهم في دوائر صراع لا تنتهي، تستنزف قوتهم وتكسر شوكتهم، وفي نفس الوقت اشتغل الاستعمار على ترويض قيادات الكرد واستمالتهم لتوظيفهم لصالح إستراتيجية الدول الكبرى وجعلهم وقودا لحروب وصدامات لم تجلب لهم الاستقلال المنشود.

لم يكن هناك مشكلة كردية حتى سقوط المنطقة تحت الحكم الاستعماري، ولم يكن هناك نزعة انفصالية داخل الخلافة العثمانية، ولم يكن هناك مطالب مرتبطة بالعرق الكردي، ولم يكن هناك أي دعاوى أو أفكار مرتبطة بالنزعة القومية داخل العالم الإسلامي، فالأمة كانت كيانا واحدا ذابت فيه الأعراق والقوميات.

من الثابت تاريخيا أن الغرب والدول الكبرى تلاعبوا بالقضية الكردية، ولم ينتصروا لها، بل كان الغدر بهم هو القاسم المشترك في المحطات الفاصلة والثورات التي قام بها الكرد في تركيا وفي العراق وحتى في إيران، وظل هذا الموقف المعادي للكرد حتى غزو العراق في ١٩٩١ حيث بدأت العلاقة بعدها تتغير مع ارتماء النخبة الكردية العراقية في أحضان الموساد وتحويل كردستان العراق إلى دويلة تحت الرعاية الإسرائيلية!

هذا النموذج لسلطة الحكم الذاتي في أربيل والسليمانية ودهوك هو الذي يغري بعض الأحزاب اليسارية للتحالف مع إسرائيل والغرب لتكراره في شرق تركيا وشمال سوريا، ومن أجل ذلك يندفعون بشكل أعمى في طريق شائك لن يحقق لهم ما يريدون، وهناك أسباب عديدة تحول دون تكرار تجربة كردستان العراق في دول الجوار، بل إن استمرار هذه التجربة بوضعها الحالي مشكوك فيه، وعوامل انهيارها أكثر من عوامل بقائها.

إن القضية الكردية تحتاج إلى اهتمام إسلامي يليق بمكانة الشعب الكردي كجزء أصيل من مكونات الأمة لحصار عملية تغريبه وعزله عن المحيط المسلم، وتحتاج إلى العمل على استعادة الأكراد إلى العالم الإسلامي الذي لم ينفصلوا عنه في يوم من الأيام، ويقتضي هذا السعي المطلوب استراتيجية مواجهة لإفشال خطط خصوم الأمة التي تعمل على اختطاف القضية الكردية واستخدام إخواننا الأكراد كوقود لأهداف صليبية وصهيونية، وهذا ما سنتناوله في مقال آخر إن شاء الله.

التمكين الشيعي
استراتيجيات تمكين الشيعة وتعزيز أوضاعهم في العالم

عرض ونقد أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب في عام ٢٠١٥ عن منشورات الرضا بلبنان، وهو من تأليف صادق جعفر، أحد نشطاء شيعة البحرين، ويمكن اعتبار هذا الكتاب من أخطر وأصرح الكتب الشيعية المعاصرة التي تكشف بوضوح عن مخططاتهم للتمكين في المجتمعات والبلدان التي يتواجدون فيها، هذا التمكين الذي نموذجه تمكين شيعة العراق ولبنان، أي ابتلاع البلد وإقصاء الآخرين بالحديد والنار!!

الكتاب جاء في ٣٥٠ صفحة، وهو مزود بكثير من الخرائط والجداول والرسوم البيانية لأن صاحبه أطلق على الكتاب اسما فرعيا هو «أطلس الشيعة».

والكتاب مليء بالمعلومات عن واقع الشيعة، لكن الأرقام التي يوردها لنسب الشيعة مضخمة جداً من جهة، وغير علمية، ولم تُعزَ بشكل سليم أكاديمياً لمصادرها.

فهو يأخذ متوسط نسبة الإحصاءات إذا تعارضت! ولا يعزو النِّسب إلى مصدرها بشكل علمي من حيث الطبعة والتاريخ، بل لم يذكر رقم الصفحة في كل هوامش الكتاب، برغم أنه حاصل على الماجستير من بريطانيا!!

وهذا الصنيع معروف من الشيعة ليزيدوا مطالبهم، ولذلك حين يكونون في موقع السلطة يرفضون عمل إحصاءات دقيقة، حتى لا تضيع المكاسب الظالمة التي استولوا عليها تحت ستار (الغالبية المهمشة)!

(*) كاتب أردني.

فكرة الكتاب تقوم على استعراض واقع الشيعة مع تضخيم مظلوميتهم وحجمهم، وتضخيم تفوّق إيران، ثم اقتراح سبل واستراتيجيات تقوي الشيعة وتوصلهم للتمكين أو السلطة، ويرتكز في عرض المظلومية على دعوى تعرض الشيعة للتكفير من قبل خصومهم، برغم أن أصل معتقد الشيعة يكفّر كل مخالف له، وعلى دعوى التمييز في الحقوق، ويتجاهل أن الظلم في بلاد السنة يستوي فيه الشيعي والسني دون ممارسة الإجرام، بينما في إيران وعراق الشيعة يقع الظلم فقط على السنة والشيعة العرب، مع تعرضهم للإجرام والوحشية المنقطة النظير!

ومن دعاوى المظلومية دعوى الإقصاء السياسي والأمني والدستوري، الذي يطبقه الشيعة بشكل فائق النظير في إيران والعراق ولبنان، ففي العراق لم يسلم منهم نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي والنواب والوزراء السنة فكيف بالمواطن البسيط؟ وفي لبنان يعطل الشيعة بقيادة رئيس مجلس النواب نبيه بري اختيار رئيس للجمهورية منذ أكثر من سنة، إلا إذا رضخ السنة لمرشح الشيعة ميشيل عون!! ثم يحدثونك عن الإقصاء في بلاد السنة، بمعنى أن عدد وزراء الشيعة غير كاف!!

والمؤلف لا يعبأ بالديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة إلا في التوسل بها لتمكين الشيعة من السلطة، ولذلك نجده يتعمد القفز عن واقع إيران السيئ مع الأقليات غير الشيعية أو غير الفارسية، كما أنه مجّد وأشاد بالصعود والتمكين الشيعي في العراق ولبنان برغم كل الطائفية والظلم والعمالة المتلبسين بها.

طبعاً بحكم أن المؤلف يسعى لتمكين الشيعة، فهو يبث في ثنايا الكتاب تصريحاً وتلميحاً أن الشيعة هم أصل الإسلام وأن ما عداهم فرق طارئة على الإسلام والتشيع! فهم الأصل في الحجاز والمدينة! ولذلك يلجأ المؤلف لمغالطات عجيبة مثل اختراع إحصائية بدون مصادر عن نسبة المذاهب الفقهية الأربعة السنية مقارنة بالشيعة والدروز والإباضية والإسماعيلية، لتخرج النتيجة أن الشيعة في المرتبة الثانية بعد الأحناف، وقبل المالكية والشافعية والحنابلة، بحيث ينفي مفهوم الأقلية عن الشيعة بين المسلمين، وهي مغالطة مكشوفة فالمقارنة تكون بين المتشابهات، فالمذاهب الفقهية تقارن ببعضها البعض، أما تقسيم أهل السنة لمذاهب فقهية ثم مقارنتهم متفرقين بفرق عقائدية فهذا نوع من الدجل العلمي عند العقلاء!

طبعاً المؤلف حتى يضخم حجم الشيعة اعتبر كل الزيدية والإسماعيلية بفرقها المتنوعة والنصيرية وعلوية تركيا من الشيعة الاثني عشرية وأدخلهم في حساباته! وهذا يتعارض مع أصول التشيع التي تكفر كل من لا يؤمن بإمامة الأئمة الإثني عشر.

ميزة الكتاب أنه يكشف لنا بوضوح عن طريقة تفكير الشيعة للتمدد في بلادنا عبر الاستعانة بإيران وقوتها ونفوذها، وعبر تبني العلمانية وآلياتها الديمقراطية لزحزحة النفوذ السني في الداخل ولجلب المعونة الغربية من الخارج!

حول واقع الوجود الشيعي يطرح المؤلف فكرة (الحوض الشيعي) ويقصد بها أن الشيعة برغم انتشارهم في ٢١٢ دولة - بين غالبية سكانية أو هامشية- إلا أن هناك حوضا يضم ١٧ دولة تقع بين الهند شرقاً ولبنان غرباً وتركيا شمالاً واليمن جنوباً تضم ٨٦٪ من شيعة العالم الذين يقدرهم بـ ٢٩٠ مليونا، بنسبة ١٩٪ من المسلمين! ولو حذفنا ثلث أرقام المؤلف فغالباً نكون لا نزال نعطي الشيعة أكبر من حجمهم!!

وأن نسبة الشيعة في هذا الحوض الذي يحتوي لب الشرق الأوسط هي ٣٢,٢٥٪ من المسلمين، ثم في مرحلة تالية قام المؤلف بحيلة خبيثة حيث جمع عدد سكان الخليج وإيران ثم قال إن نسبة الشيعة هي ٦٦,٩٪ بينما السنة ٢٧,١٪، وعليه طرح فكرة مؤامراتية شيعية بامتياز فقال في صفحة ٢٥٩: «إن تمركز جماعة ما في إقليم معين يعطيها زخماً أكبر لكي تطالب بالاستفادة من

موارد ذلك الإقليم بل وأن تكون الجماعة الحاكمة أو المهيمنة سياسياً فيه»، وهذه دعوة صريحة لإيران والشيعة للاستيلاء على السلطة وعدم الاعتراف بالدول المجاورة، وهي دعوة يطلقها أحد شيعة الخليج الذين يزعمون أنهم شركاؤنا في الوطن! وهي تكشف أن حقيقة الولاء لشيعة الخليج والعرب هو لإيران وليس لدولهم وأوطانهم.

ينتقل المؤلف لمناقشة هل ما نشهده اليوم هو عصر الإحياء والنهوض الشيعي، ويجيب: نعم، بكل فخر، ويرصد مسار هذا النهوض من بداية ثورة الخميني عبر ٦ محطات، هي:

١- ثورة الخميني سنة ١٩٧٩م، التي أثّرت في العالم وأصبحت قدوة لحركات التحرر من الطغيان في كل العالم، ومن أمثلة ذلك سوى المسلمين: ثوار نيكاراغوا، وجنوب أفريقيا، وجيش تحرير إيرلندا، والهنود الحمر!

٢- انتفاضة شيعة الخليج منذ ١٩٨٠ في محاولة لمحاكاة فوز ثورة الخميني.

٣- وبعد انتهاء حرب الخليج الأولى سنة ١٩٨٨م، جاء إعادة تموضع إيران الاستراتيجي بالبناء في الداخل والاندماج السياسي في النظام الدولي، وهي المرحلة التي شهدت تخلي الجماعات الشيعية العربية عن العنف والتحول للعمل السياسي.

٤- بداية الحصاد للاستراتيجية الجديدة، بانسحاب إسرائيل عام ٢٠٠٠ من جنوب لبنان، والمصالحة البحرينية ٢٠٠١، والقضاء على طالبان وحماية الشيعة ٢٠٠١ أيضا.

٥- البيئة الاستراتيجية الجديدة منذ ٢٠٠٣، بسقوط نظام صدام حسين واحتلال العراق، ثم بداية عصر الفضائيات الشيعية، وبداية حروب الحوثيين في اليمن ٢٠٠٤، وحرب لبنان ٢٠٠٦، واحتجاجات المدينة المنورة ٢٠١٠.

٦- مع الربيع العربي في ٢٠١١ حيث ظهرت ثورة شيعة البحرين، ومنع سقوط دمشق، وانتفاضة المنطقة الشرقية بالسعودية، والخروج الأمريكي من العراق.

ويلخص المؤلف حال الشيعة اليوم بأنهم حققوا نجاحات نسبية لا بد من العمل على استقرارها وتثبيتها، ومن جهة أخرى توجد فرص فتحت أبوابها لابد أن يستغلها الشيعة لتحقيق مكاسب ضخمة، وهذا هو غرض الكتاب أن ينبه على الفرص الموجودة للشيعة وكيفية استغلالها.

وينبه على مسألة في غاية الأهمية، وهي: أن نمو قوة الشيعة لا يرتبط بضعف خصومهم فقط، بل يرتبط بأخطاء الخصوم، وهذه كلمة أصابت كبد الحقيقة في تفسير قوة الشيعة اليوم، فقوتهم في أخطائنا!

ويحصر المؤلف استراتيجيات الشيعة في الفترة الماضية والتي حققت لهم تلك المكاسب في: التحرك من خلال الأطر السياسية المتاحة، والاحتجاج الجماعي السلمي وتوظيف المؤسسات الشيعية الدينية، ومحاولات التغيير بالسلاح، والاحتماء بالرعاية السياسية الخارجية.

والمؤلف يقدم نظريته في تمكين الشيعة ومعنى منحهم القدرة على الفعل والوصول لمرحلة القوي المتين، من خلال استراتيجيات متعددة بحسب واقع كل فئة شيعية.

وفي تشخيص المؤلف لواقع الشيعة يفرز أماكن تواجد الشيعة لسبع ساحات من ناحية قوة الشيعة وحضورهم، وهي:

١- ساحة مركزية/ متمكنة، وهي التي يسيطر عليه الشيعة كإيران، وأن هذه الساحة لها نفوذ في الخارج كبير ومهم، وهنا يغفل المؤلف المتباكي على الديمقراطية والحرية والعدالة للشيعة، مظالم الشيعة في إيران لغير الشيعة كأهل السنة، أو مظالم الفرس للعرب حتى ولو كانوا شيعة كالأحوازيين.

٢- ساحات صعود، كالعراق ولبنان، وهنا أيضاً يتجاهل المؤلف المسيرة الطائفية البغيضة لشيعة العراق ولبنان لشركائهم في البلد! ويرى المؤلف أن تمكن شيعة العراق ولبنان يتعدى تأثيره حدود بلديهما لما يجاورهم من بلدان، وهذا مؤشر خطير.

٣- ساحة مغيبة، ومثالها شيعة أذربيجان،

والتي برغم عرقها التركي إلا أنها تخالف تركيا بتشيعها، لكنها لعلمانيتها ترفض إيران أيضاً!!

٤- ساحات محتقنة، كالبحرين والسعودية، حيث يزعم المؤلف أن الشيعة فيهما يعانون حالة من التهميش والإقصاء الشديد!

٥- ساحات حاضنة، وهي التي ينسجم فيها الشيعة مع بقية المجتمع على تفاوت، مثل دول الهند وعُمان والكويت وتركيا.

٦- ساحات معولمة، وهي كدول الغرب حيث يستفيد الشيعة من مناخ الحرية والانفتاح والديمقراطية، مما يفتح للشيعة فرصة لخدمة ودعم إخوانهم في البلاد الأخرى من خلال الدعم السياسي بتغيير مزاج هذه الدول تجاه الشيعة!

٧- ساحات المأوى، وهي بقية دول العالم التي تحوي مجموعات ضئيلة من الشيعة، وهي تتنوع بين دول غالبيتها إسلامية ينقسم وضع الشيعة فيها بين وضع منبوذ كماليزيا، أو غير منتبه له كحال دول شمال أفريقيا! وبين دول غير إسلامية كالصين وروسيا وليس فيها إثارة للمسألة الشيعية.

ثم ينتقل المؤلف ليحدد نقاط القوة الشيعية وكيفية استثمارها في الفرص المتاحة، ونقاط الضعف وكيفية علاجها، فنقاط القوة من وجهة نظره:

- الانتشار الجغرافي: مما يسهل التواصل والدعم لأي مجموعة شيعية.

- التموضع الاستراتيجي للشيعة والذي يقسمه: لتموضع جغرافي في وسط العالم الإسلامي وقلب حركة المرور العالمية، وتموضع ديني في الحجاز والمدينة في محاولة لشرعنة التشيع وجعله أساس الإسلام، وتموضع اقتصادي في أحواض النفط الكبرى العالمية، وتموضع سياسي قرب بلاد الشام/ إسرائيل.

- بنية القيادة المرجعية: وهي تتمثل في خضوع الشيعة لقيادة دينية مستقلة عن القيادة السياسية في أوطانهم باعتبارهم أولي الأمر للشيعة، وهذا مصدر خطر كبير على الأمن الوطني الداخلي لأي بلد.

- منظومة سياسية متماسكة وصاعدة: ويقصد بها النظام الإيراني، وما حققه من نفوذ سياسي في الدول المجاورة.

ونقاط القوة هذه يرى المؤلف أن هناك فرصا لو وظفت فيها بشكل سليم لحقق الشيعة تمكينا كبيراً، وهذه الفرص هي:

- العولمة، وخاصة المواثيق الدولية لحقوق الانسان، وأن على الشيعة استغلال هذه المنظومة الدولية لتحسين أوضاع الشيعة في الدول المعادية، وفعلا قام الشيعة بإنشاء مؤسسات حقوقية كثيرة لهذا الغرض، ويكفي أنهم نجوا من العقاب والإدانة في انقلاب اللؤلؤة في البحرين بفضل لجوئهم للمؤسسات الحقوقية الدولية، وللأسف لم يستفد أهل السنة من هذا الباب في صد العدوان الشيعي والطائفي عليهم في كل مكان، ولا يزال العمل الحقوقي لا يحظى باهتمام ورعاية مناسبة!

- ثورة التكنولوجيا وتطويعها للتواصل مع الشتات الشيعي ونشر المعارف الشيعية.

- الفراغ الاستراتيجي الإقليمي، وهو الفراغ الذي تمددت فيه إيران حتى صرحت باحتلالها لأربع عواصم عربية، حت جاءت عاصفة الحزم وقلبت الطاولة.

وهناك نوعان من الفراغ بحسب وجهة نظر المؤلف، الأول الفراغ السياسي القائم، والثاني الفراغ العقائدي القادم، ويرى المؤلف أن تطابق سياسة الدول العربية مع السياسة الأمريكية خلق مناطق فراغ تجاه بعض قضايا المنطقة، وقد سارعت إيران بملئها، ومن تلك الفراغات: حقوق الشيعة في الدول العربية، القضية الفلسطينية، الفراغ الكردي، الفراغ الأفغاني، الفراغ الأفريقي، الفراغ الإسلامي وقضايا المسلمين.

أما الفراغ العقائدي القادم فيرى الكاتب أن الإرهاب (السني الوهابي) شوّه صورة الإسلام، وعلى التشيع التقدم لتصحيح الصورة وسد الفجوة! كما أن هناك فراغاً في ساحة العلماء بسبب انشغال علماء السنة بقضايا تافهة أو تصدّر الجهلاء لمنصب العلماء مما يستدعي تدخل العلماء والمراجع الشيعة لملء الفراغ وإعادة الاعتبار لمكانة العلماء!!

وبعد تعداد نقاط القوة والفُرص، تناول نقاط الضعف في طريق التمكين الشيعي، وهي قلتهم العددية، إذ يؤثر ذلك على قدرتهم على قيادة المجتمعات التي يتواجدون فيها على شكل أقليات، ولعلاج ذلك طرح الكاتب أفكارا من قبيل دعم العلمانية والديمقراطية وتطويعها لحماية وتعزيز الأقليات حتى يكسبوا أكثر من حقهم! فضلاً عن توسيع نطاق العلاقة والارتباط للشيعة بشيعة الإقليم حتى يتجاوزوا عقدة الأقلية، على طريقة الطرفة السائدة أن فلان وابن عمه حاصلان على نسبة ٩٠٪ في الشهادة الجامعية، لأنه لوحده راسب!

أما أكثر ما يعتبره المؤلف تهديداً لتمكين الشيعة وخطراً على أطماعهم فهو الطائفية، والمقصود بالطائفية هنا معاملة الشيعة من قبل أهل السنة بوعي بعقائدهم وأفكارهم ومواقفهم وسياساتهم، فهذا عنده طائفية! لأننا يجب أن نسمح للشيعة بكل خرق للقانون وجريمة إرهابية فقط لأنهم شيعة ولأنهم أقلية!! ولذلك يهاجم المؤلف بضراوة كل أشكال النشاط الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والإغاثي في العالم للسنة وعلى رأسهم السعودية باعتباره نشاطا طائفيا ضد الشيعة! بينما كل النشاط الشيعي والإيراني في العالم مبرر، لأن الأقليات تبحث دوماً عن حماية خارجية!!

وينتقل لفصل عن العلاقات الشيعية الشيعية فيمجّد كل نشاط إيراني لدعم الشيعة ومد النفوذ في دول العالم، وكيف نحسّنها.

ثم يختم كتابه باستراتيجيات تمكين شيعية مقترحة لكافة الساحات الشيعية بحسب وضعها، وهي:

١- التعبئة، أي بث الدعاية الشيعية الطائفية، بدلاً من التسامح والتعايش، فتنبه!

٢- بناء الموارد البشرية والمادية والمعنوية الرسمية والأهلية وعلى كافة الصعد.

٣- إعادة إنتاج النجاحات، أي نقل التجارب من بلد لبلد، على غرار استنساخ حزب الله في العراق بالميلشيات وفي اليمن بالحوثي.

٤- توظيف النجاحات، أي الاستفادة من نجاح في قطاع لدعم قطاع جديد.

٥- التشبيك البيني، أي عمل شبكات عمل بين المؤسسات الشيعية في البلد الواحد وكافة البلاد.

٦- مناصرة، أي دعم القضايا الشيعية في كل مكان، ولاحظ كيف يصطف الإعلام الشيعي خلف الحوثيين مثلاً دون أن يشذ عن ذلك جهة واحدة!

٧- كسب التأييد، وتعني العمل على كسب تأييد الأطراف الصديقة والمحايدة لقضايا التشيع، وهو نوع من اختراق المجتمعات المسلمة وكسب تأييد وتعاطف قطاع منه مع مشروع إيران والشيعة، وعلى الصعيد الدولي يعرقل كثيرا من الإجراءات ضد الإرهاب الشيعي.

٨- الإحتماء السياسي ويقصد بها طلب الحماية الخارجية من إيران أو غيرها، أو النظام العلماني وهذا يصلح للأقليات الشيعية المهمشة، برغم أن إيران تجرم طلب الأقليات فيها للحماية من جهات خارجية!!

٩- منح التأييد، أي قيام إيران بتأييد ودعم بعض الدول وربط ذلك بتحسين وضع الشيعة وتمكينهم!

١٠- التشبيك الخارجي، وهو من خلال الاستفادة من تشبيك إيران سياسيا مع عدد من الدول في العالم لزيادة قوتها وحضورها ودعم برنامجها النووي.

الخلاصة: إن الغالب على منهج الكاتب الاطلاع على الدراسات الغربية حول إيران والشيعة، وتطويعها لمصلحة الشيعة، بالتركيز على نقاط الالتقاء مع الغرب، ومعالجة الثغرات التي قد ينفذ منها الغرب لضرب إيران، والاستفادة من هذه الثغرات لاختراق الدول العربية والإسلامية.

هكذا يفكر الشيعة وهكذا يخططون، فماذا عنا؟!

الإرهاب الهندوسي لطلبة المسلمين

قالوا: واجه عدد من الطلاب المسلمين في الهند العقاب بعد رفضهم قراءة أدعية خاصة بالهندوس في منصة المدرسة الواقعة في مدينة «بنجلور» بولاية «كرناتكا» الهندية.

وزاد إصرار مديرة المدرسة الهندوسية والتي تدعى «فوجه مينن» على معاقبة الطلاب، بعدما علمت أن الطلاب المسلمين لا يرددون الأدعية السنسكريتية الخاصة بالهندوس في بداية الدروس كل يوم.

وزعمت مديرة المدرسة أن الأدعية الخاصة السنسكريتية لا توجد بها مشكلة في غنائها في بداية الدروس؛ إذ فيها أسماء آلهة الهندوس، وبها نستعين، وبها تحل مشكلاتنا على حد زعمها.

بينما أكد أحد الطلاب المسلمين وعُمره ١٥ عامًا، أن ترديد الأدعية السنسكريتية فيها أسماء آلهة الهندوس والاستعانة بهم، وهذا عمل يؤدي إلى الشرك بالله عز وجل، والإسلام لا يسمح بذلك، ومن أجل ذلك يرفض الطلاب قراءة أو ترديد تلك الأدعية.

وادعت المديرة أن توقيع العقاب على الطلاب المسلمين جاء من أجل تثبيت قوانين المدرسة.

وبحسب آخر إحصائية لجمعية شباب الإسلام في الهند، فإن المسلمين لا يقلون في أي حال من الأحوال عن ٣٠٠ مليون.

مفكرة الإسلام ٢٠١٥/٨/٩

ليس الفاسد الوحيد!

قالوا: توجه مهدي هاشمي، نجل الرئيس الإيراني السابق أكبر هاشمي رفسنجاني، إلى سجن إيوين في طهران لقضاء عقوبة بالسجن عشر سنوات صدرت بحقه بعد إدانته بارتكاب جرائم اقتصادية والتعرض للأمن القومي، بحسب ما نقلت وكالة فرانس برس عن وكالة إيسنا الطلابية.

وكانت محكمة استئناف طهران أكدت إدانته بتهمتين وعقوبتهما السجن عشر سنوات، وهما «الاحتيال، اختلاس الأموال والتزوير»، وأخرى بقضايا مرتبطة «بالأمن القومي» وعقوبتها السجن خمس سنوات. لكن القانون ينص على تطبيق العقوبة الأكبر، بالتالي السجن عشر سنوات.

شكر أبو عبيدة على فاشوش!

قالوا: «مشعل لن يزور طهران في الوقت الحالي(..)، كافة المستويات القيادية في الحركة مستعدة لزيارة طهران، عدا مشعل، لأسباب كثيرة، منها التوقيت في هذه المرحلة، فهو غير مناسب». وتابع: «إيران تشترط في العلاقة مع حماس زيارة مشعل لطهران، وهذا الأمر بالنسبة لنا، يحتاج إلى توقيت تكون فيه المنطقة أكثر استقرارا».

وأوضح القيادي أن إيران، حاولت منذ بداية الثورة السورية (مارس/ آذار ٢٠١١) أخذ موقف من حركة حماس لصالح النظام في سوريا، لكن الحركة كان موقفها واضحا، بأنها «غير معنية بالتدخل في الملفات الداخلية لأي من دول المنطقة، كما أنها لن تقف في وجه طموحات الشعوب المقهورة».

وتابع: «على إثر ذلك، قرّر النظام الإيراني، وقف كافة أشكال الدعم المالي والعسكري للحركة، وهذا الحال مستمر منذ أربع سنوات». وأشار إلى أن بعض الجهات في إيران، لم يسمّها، «حاولت استثناء الدعم العسكري لكتائب القسام، الجناح المسلح لحماس،

واستمراريته، لكن هذا الأمر لم ينجح، وتوقف أيضاً». وأضاف: «كل ما يشاع عن وجود دعم إيراني للجهاز العسكري، ليس صحيحا بالمطلق».

قيادي حمساوي لوكالة الأناضول ٢٠١٥/٨/٩

هل يجدد الإخوان دورهم كجسر لإيران

قالوا: لقاء جمع بين السفير الإيراني في لبنان، محمد فتحعلي، وأمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان (الإخوان المسلمين) إبراهيم المصري. لم يكن مجرد لقاء بروتوكولي أو تعارفي رغم أنه اللقاء الأول بين الاثنين منذ استلام فتحعلي لمهامه الدبلوماسية في لبنان، فهذا اللقاء جرى بعد توقيع الاتفاق الدولي بين إيران والدول الكبرى حول الملف النووي، وإطلاق إيران مبادرة حول الأزمة السورية، وانتشار العديد من التقارير عن عودة التقارب بين الإخوان المسلمين والمملكة السعودية.

مصادر مطلعة على الأجواء الإيرانية عزت أسباب تأخر الزيارة البروتوكولية والتعارفية بين السفير وقيادة الجماعة بسبب بعض المواقف التي كان يطلقها مسؤولون في الإخوان ضد إيران، وللهجوم الاعلامي ضد إيران في وسائل إعلام الجماعة. حسبما قالت صحيفة السفير اللبنانية.

مصادر مطلعة شاركت في اللقاء أكدت على الأجواء الإيجابية بين الطرفين، ولم تستبعد هذه المصادر وجود رهان إيراني على قيام قيادة الجماعة بدور ما بين إيران وقيادة الإخوان المسلمين أو بشأن الملف السوري.

موقع الإسلاميون ٢٠١٥/٨/٨

هل يتعلم أردوغان أخيراً

قالوا: تشن وسائل الإعلام الإيرانية الرسمية وغير الرسمية حملة هوجاء تحاول من خلالها تشويه سمعة تركيا، خصوصا وسائل الإعلام المقرّبة من الحرس الثوري الإيراني. ويلاحظ المتابعون ذلك التشابه الكبير بين حملة التضليل الإعلامي في إيران، مع نظيرتها ضد تركيا في الإعلام الغربي.

وتتعمّد وسائل إعلام تابعة للمرشد الإيراني الأعلى، ورئاسة الجمهورية، في نشر الأنباء الكاذبة.

ويحاول الإعلام الإيراني تضليل الرأي العام من خلال ترويج الادعاء بأن تركيا تدعم الإرهابيين في الشرق الأوسط، لاسيما تنظيم «داعش»، حيث تقوم المواقع المرتبطة بإيران بشكل مباشر وغير مباشر، بنقل الأخبار الملفقة استنادا إلى بعضها البعض.

وبينما تفرد وكالة الأنباء الإيرانية «إرنا»، مساحة واسعة لبث الادعاءات والاتهامات حيال تركيا، تتجاهل نشر التصريحات الرسمية للمسؤولين الأتراك التي تدحض الادعاءات.

وعلى سبيل المثال استخدمت صحيفة «كيهان»، المعروفة بقربها من المرشد الأعلى، علي خامنئي، عنوان «تركيا والسعودية وقطر: مركز قيادة داعش»، في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ حزيران/يونيو الماضي.

أما وكالة أنباء فارس للأنباء، التي يشرف عليها الحرس الثوري، فقد ركّزت على مزاعم بأن عناصر «داعش» الإرهابية عبرت من الأراضي التركية، لدى مهاجمتها مدينة عين العرب «كوباني» السورية»، في ٢٥ تموز/يوليو الماضي.

وبدا واضحا مدى الانزعاج الكبير لدى أوساط الحكومة الإيرانية، من العمليات التي أطلقتها تركيا خارج حدودها ضد منظمتي «بي كا كا»، و«داعش» الإرهابيتين، وأعرب المسؤولون الإيرانيون عن ذلك بشكل علني، فيما عمل الإعلام الإيراني، إلى إظهار الموضوع بصورة «اعتداء تركيا على الأراضي السورية، بذريعة الإرهاب».

كما لجأت الجهات الإيرانية التي تستغل الملف اليمني لتصعيد التوتر الطائفي في المنطقة، إلى العمل على تشويه سمعة تركيا من خلال إظهارها، وكأنها تتحرك بدوافع مذهبية في هذا الموضوع، وذلك من أجل خلق أحكام مسبقة حيال أنقرة، على صعيد اللاعبين الإقليميين.

وبحسب مصادر دبلوماسية، فإن أنقرة أعربت لطهران عبر أكثر من وسيلة، عن استيائها من الحملة الإعلامية الرامية لتشويه سمعة تركيا في الإعلام الإيراني، المدعوم من الحكومة، إلا أن المسؤولين الإيرانيين لم يتجاوبوا مع تحذيرات الجانب التركي.

تركيا بوست ٢٠١٥/٨/٧

إيران وحزب الله والموقف من الصراع في سوريا

د. محمد السلمي– آراء حول الخليج ٢٠١٥/٨/٥

مقدمة

كان للتغيرات السياسية التي عصفت بالمنطقة العربية منذ نهاية عام ٢٠١٠م، أو ما يعرف بـ «الربيع العربي» دلالة على ارتباك الموقف الإيراني خلال تلك الفترة، حيث أيدت طهران بعض هذه التغيرات السياسية ورحبت بها ولكن ما أن وصلت موجة التغيير إلى حليفها السوري حتى تغير الموقف وعملت على الفصل بين جميع الثورات العربية من جانب، والثورة السورية، من جانب آخر. من المعلوم أن سوريا تشكل أهمية استراتيجية للنظام الإيراني، ليس بسبب قوة النظام السوري ولكن لأن فقدان هذا الحلف الوثيق بين النظامين يفقد طهران كثيراً من الأوراق الأساسية التي تمتلكها في المنطقة. لقد اتجهت طهران نحو ضخ كل الدّعم المطلوب وخاصة المالي والعسكري للنظام السّوري لإبقائه حياً ومتماسكاً. ومما لا شك فيه أن إيران في حاجة وجودية لحكم حليف لها في سوريا لأنه يشكل بالنسبة لها بوابة رئيسية وممراً حيوياً نحو لبنان حيث حزب الله اللبناني، أحد أهم أذرع إيران العسكرية في المنطقة، كما يعد منفذاً هاماً إلى القارة الأوروبية والدول العربية. وفقدان إيران لهذه البوابة المصيرية يعني محاصرة إيران تماماً بين خصومها كما يشكل تهديداً حقيقياً للنفوذ الإيراني في الداخل العربي بشكل عام خاصة في العراق واليمن ولبنان. ولضمان تحقق هذا الهدف الاستراتيجي، دافعت طهران بكل ضراوة عن نظام بشار الأسد وتعمل في الوقت الراهن أيضاً على إقناع الدول الغربية على صحة موقفها من الأحداث التي تعصف بمنطقة الشرق الأوسط وتسوق لذلك بسبل متعددة ووسائل متنوعة، ويبدو أن هذه الخطوة الإيرانية قد نجحت إلى حد كبير.

موقف إيران من «الثورات العربية»

عندما انطلقت شرارة ما يسمى بـ «الربيع العربي» وأطاحت بالأنظمة في تونس ومصر واليمن وليبيا، بدأت إيران بالترحيب بهذه التغيرات على الساحة العربية واعتبرتها «متعلقة بكرامة الشعوب» وأنه «سوف يأتي يوم وتشتعل هذه البلدان التي نارها لاتزال تحت الرماد»، (تعني بذلك بطبيعة الحال دول الخليج العربي)، وعادت جميع تحركاتهم بالكرامة القومية والعدالة الاجتماعية والحرية وجميعها تحت ظل الدين الإسلامي(٢٠١١/٦/٤م). وقال المرشد الأعلى علي خامنئي أن «الشيء الذي جذبهم (شعوب دول «الربيع العربي») بكل وضوح هي قضية العزة والكرامة الإنسانية، فقد جرحت يد هؤلاء الحكّام الظالمين كرامة الشعب» (٢٠١١/٣/٢١).لم يقف الترحيب الإيراني الكبير بهذه التغيرات على الساحة العربية عند هذا الحد، بل ربط ذلك بما أسماه بـ «الصحوة الإسلامية» وأن هذه التطورات قد استلهمت حِراكها السياسي من الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م، وأن «الصحوة

الإسلامية هي الكلمة الثابتة والمتأصلة، وتريد الشعوب الإسلامية العدالة والحرية والديموقراطية وكذلك يريدون الاهتمام بهويتهم الإنسانية التي يرونها في الدين الإسلامي، وليست في المدارس الأخرى»، شدّد ولي الفقيه على أن المواقع الإلكترونية التي تنقل الأخبار الأجنبية دائماً ما تتحدث عن نفوذ إيران وسيطرتها وحضورها في قضايا المنطقة، لكنهم لا يعترفون «دوافعهم المغرضة»، على حد ما يراه خامنئي. ركز ولي الفقيه في تصريحاته هذه على قيم ومفاهيم تدغدغ المشاعر لدى المتلقي العربي مثل «العدالة»، «الحرية»، «الديمقراطية» وما أطلق عليه أيضاً «الهوية الإنسانية»، التي تتوافق جميعها مع قيم ومفاهيم الدين الإسلامي.

وعندما وصلت موجة الثورات العربية إلى سوريا، تحدث المرشد الأعلى في إيران علي خامنئي عن ذلك وزعم أن طبيعة الأوضاع في سوريا تختلف عنها في بقية الدول العربية مثل تونس، مصر، ليبيا، واليمن، فتلك الدول، من وجهة نظره، «كانت ثورتها ضد أمريكا وضد الصهيونية لكن في سوريا فإن يد أمريكا واضحة وجليه والصهاينة يتبعون هذه القضية، فنحن لا ينبغي أن نخطئ ولا ينبغي أن ننسى هذا المعيار، وأن تلك الثورة هي ثورة شعبية أصيلة قامت ضد أمريكا والصهيونية، وأن هذه الشعارات في سوريا تعد لمصلحة أمريكا وإسرائيل وأنها ثورة مشبوهة... ونحن سوف نحافظ على هذا المنطق وهذا البيان وهذا التنوير» (٢٠١١/٦/٣٠م).لم يكتف خامنئي بذلك بل اعتبر حقيقة الأزمة السورية «حرب بالوكالة» من قبل بعض الدول بزعامة أمريكا وبعض القوات الأخرى من أجل توفير مصالح النظام الصهيوني والإضرار بالمقاومة في المنطقة، على حد زعمه (٢٠١٢/٨/٢٢).

بعد اتفاق نوفمبر ٢٠١٣ المبدئي بين إيران ومجموعة ٥+١ حول الملف النووي الإيراني غيرت إيران «العدسة» التي كانت تنظر من خلالها إلى طبيعة الأوضاع في سوريا. لقد تحولت طهران من إلقاء اللوم على «قوى الاستكبار العالمي» والمخططات «الصهيو- أمريكية» إلى العزف على نغمة «الإرهاب العالمي» التي تتوافق وهواجس القوى العظمى، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص تجاه الأحداث في المنطقة. ركزت إيران كثيراً على خطر الجماعات الإرهابية التي تنشط في سوريا والعراق وحاولت أن تعمق مزاعم أن هذا الإرهاب قادم ومدعوم من قبل دول إقليمية كالمملكة العربية السعودية وقطر وتركيا، وإن كان التركيز على الأولى هو الأكثر بروزاً وتكراراً.

يظهر التغير في القراءة الإيرانية للأزمة السورية من خلال تصريحات عدد من المسئولين في الحكومة الإيرانية. ففي لقاء جمعه بالأمين العام للأمم المتحدة في شهر سبتمبر ٢٠١٤م، بان كي مون، قال الرئيس الإيراني حسن روحاني أن إيران تسعى دائماً لمكافحة الإرهاب في المنطقة بكل قوة. وقال أيضاً إن الإرهاب والعنف يشكلان خطراً حقيقياً علينا جميعاً، وينبغي القيام بحرب ضروس ضد هذه الجماعات. وفي لقاء أجرته معه قناة «ان بي سي» الأمريكية أشار روحاني إلى ضرورة مكافحة الجماعات الإرهابية في المنطقة وإنه ينبغي أن تكون مكافحتهم عن طريق الشعب والحكومات، وقال للأسف نشهد اليوم في منطقتنا جماعات إرهابية سلبت الهدوء والراحة من الناس وملؤها بالمشاكل وشرّدوا ملايين الأشخاص من منازلهم وقتلوا الأبرياء بكل وحشية وهمجية، مؤكداً بأنه وعلى مدى قرون كان المسلمون واليهود والمسيحيون وأتباع أديان ومعتقدات أخرى يعيشون جنباً إلى جنب في سوريا والعراق بكل راحة واطمئنان. وتسعى إيران من وراء هذه التصريحات إلى بناء شراكة جديدة مع القوى الكبرى تحت مظلة الحرب على الإرهاب من خلال التسويق لمزاعم أن الإرهاب يستهدف إيران كما يستهدف الغرب وأنه سوف يصل إلى أوروبا والغرب بشكل عام بعد أن يقضي على الشيعة في المنطقة.

عطفاً على هذه التغيرات المتلاحقة في الموقف الإيراني من الأوضاع في المنطقة والحالة السورية على وجه الخصوص، من غير المستبعد أن نرى تغيراً جديداً في القراءة الإيرانية بعد تنفيذ الاتفاق بين إيران ومجموعة ٥+١ حول البرنامج النووي الإيراني. فمثل هذا الاتفاق والملفات السياسية المرتبطة به في منطقة الشرق الأوسط ستلقي بظلالها على تصرفات إيران تجاه دول الجوار ومناطق الصراع في الداخل العربي خاصة في سوريا واليمن والعراق ولبنان، وبالتالي على دول المنطقة الاستعداد جيداً لذلك!

طبيعة الدعم الإيراني للنظام السوري

وبعد أن استعرضنا الموقف الإيراني من التغيرات في المنطقة العربية منذ ٢٠١١م، ننتقل إلى طبيعة الدعم الإيراني للنظام السوري. قدمت إيران- ولا تزال- كافة أنواع الدعم للنظام السوري لتجنب إسقاطه على يد الثوار السوريين، لما يمثل هذا النظام ما يمكن تسميته بـ «حجر الزاوية» للتوغل الإيراني في الداخل العربي. يقول مهدي طائب رجل الدين الإيراني ورئيس موقع «عمّار» الاستراتيجي للحروب الناعمة المرتبط بالحرس الثوري الإيراني في تصريحات له لوكالة أنباء «رسنا» المحلية أن «على إيران الاستمرار في تقديم الدعم للمقاتلين في سوريا والعراق ولبنان واليمن حتى ولو كان على حساب قوت الشعب الإيراني. ويضيف طائب: لدى إيران ثروات طبيعية كثيرة كالغاز والنفط ويجب على الشعب الإيراني أن يقلل من كميات الطعام على سفرته من أجل نصرة المقاتلين في العراق ولبنان وسوريا واليمن ونصرتهم. ولم يتردد رجل الدين هذا من وصف سوريا بالمحافظة الإيرانية رقم ٣٥ وتعد محافظة إستراتيجية بالنسبة لنا. وكان قبل نحو عام قد أكد طائب على أهمية سوريا بالنسبة للنظام الإيراني بقوله «لو خسرنا سوريا لا يمكن أن نحتفظ بطهران، ولكن لو خسرنا «خوزستان» (عربستان/الأحواز) سنستعيده ما دمنا نحتفظ بسوريا». هذه التصريحات الصريحة والمباشرة تقدم صورة واضحة لمدى أهمية النظام السوري لإيران. وعليه فقد تنوع الدعم الإيراني السخي والمتواصل لنظام بشار وأخذ جوانب اقتصادية وسياسية وعسكرية، وهو ما سنستعرضه باختصار في الجزء التالي من التقرير.

(١) الدعم المالي:

فعلى الجانب المالي، ضخت إيران عشرات المليارات (تقدر بأكثر من ٣٥ مليار دولار) للنظام السوري من أجل دعمه وحمايته من السقوط على أيدي الثوار السوريين. كما ضمنت طهران استمرار تدفق النفط إلى سوريا وبكميات كبيرة خاصة في ظل تراجع كبير في إنتاج النفط السوري منذ اندلاع الثورة السورية. فقد قالت وكالة «بلومبيرغ» أنها رصدت عن طريق تتبع حركة ناقلات النفط نقل نحو ١٠ ملايين طن من النفط الخام من إيران إلى سوريا منذ بداية العام الجاري وحتى شهر يونيو الماضي وهو ما يعني قيام إيران بضخ نحو ٦٠ ألف برميل نفط يوميا إلى سوريا، وأن ذلك يتم عبر ميناء بانياس السوري. من جانب آخر، تدعم إيران نظام بشار الأسد بقرابة ستة مليارات دولار سنوياً وهذا المبلغ قد يرتفع أو تحافظ عليه إذا ما تم تنفيذ الاتفاق النووي مع الغرب، أما إن فشل الحفاظ على هذا الاتفاق فإن إيران ستواجه الكثير من الصعوبات في تأمين مطالب نظام بشار الأسد المرتفعة والمتواصلة.

(٢) الدعم السياسي

على المستوى السياسي، يدرك النظام الإيراني أن بقاء حزب الله واستمراره مرتبط بشكل وثيق ببقاء نظام موال لإيران في سوريا حتى يتم ضمان الوصول إلى الضاحية الجنوبية بسهولة. كذلك وبعد تدخل حزب الله في سوريا وتورطه في قتل الشعب هناك، يدرك أن اللعنة سوف تطارده وبخاصة إذا ما تم الإطاحة بنظام بشار الأسد. من هنا نجد أن النظام الإيراني لا يزال مستميتا في

الدفاع عن النظام السوري حتى الآن، وقد سخرت طهران كافة علاقاتها الدبلوماسية وإمكانياتها الإعلامية للدفاع عن النظام السوري وإبرازه في عباءة المظلوم الذي يتعرض لمؤامرات خارجية تستهدف في المقام الأول، بحسب طهران، محور الممانعة في وجه الأطماع الإسرائيلية علاوة على التصدي للجماعات الإرهابية والتكفيرية، على حد زعم طهران. وفي تصريحات نشرتها مجلة «دير شبيغل» الألمانية، تحدث فيها عن مدى أهمية دعم بلاده للأسد، يقول وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف «نحن ندعم الحكومة الشرعية في سوريا، ولولا دعمنا هذا لوجدنا تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يحكم دمشق.

(٣) الدعم العسكري

وعلى الجانب العسكري، يمد النظام الإيراني نظيره السوري بجميع أنواع الأسلحة التقليدية وغير التقليدية وهناك جسرا جويا بين دمشق وطهران لنقل الأسلحة. كما تتواجد قيادات من الحرس الثوري الإيراني على الأراضي السورية وهي وفقا لتقارير متعددة فإن إيران هي من تقود المعارك وتقوم بتوجيه الجيش النظامي السوري وقد شكلت غرف عمليات على الأراضي السورية، كما تواترت الأخبار عن تحول مطار الضبعة العسكري الشهير إلى ثكنة إيرانية، تستقبل شحنات الأسلحة والمرتزقة وقادة الحرس الثوري. وقد أظهرت عدد من مقاطع الفيديو التي نشرتها بعض وسائل الإعلام العربية والغربية جانبا من التواجد العسكري الإيراني على الأراضي السورية وطريقة تعامل ضباط الحرس الثوري مع الجنود السوريين في الميدان والظهور بمظهر القائد الأول للمعارك هناك. كما ألقى الثوار السوريون القبض على عدد من الجنود الإيرانيين أو من تقوم إيران بإرسالهم إلى سوريا. في هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى قيام طهران بإرسال المرتزقة الشيعة من العراق وباكستان وأفغانستان إلى سوريا من خلال إغرائهم بالأموال وتقديم وعود بالحصول على امتيازات عالية على الأراضي السورية في حالة تم دحر الثوار وعودة الأوضاع إلى طبيعتها هناك. الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من هؤلاء المرتزقة قد لقوا حتفهم في سوريا، حيث تطالعنا وسائل الإعلام الإيرانية بين الفينة والأخرى بأخبار حول تشييع عدد ممن تصفهم بـ«شهداء الدفاع عن ضريح السيدة زينب» في سوريا. إلى ذلك، تحدثت بعض التقارير الإعلامية عن مقتل أكثر من ٤٠٠ شخص قتلوا في سوريا وتم دفنهم في إيران، ومن غير المستبعد أن أعداد من قتلوا من هؤلاء المرتزقة أضعاف هذا الرقم المعلن. إلى جانب ذلك، تم تشييع الكثير من ضباط الحرس الثوري الذين قتلوا في سوريا أيضاً.

تأثير الدعم الإيراني على الصراع في سوريا والمنطقة

تحاول إيران من خلال دعمها للنظام السوري أيضا إبقاء المنطقة العربية مشتعلة حتى وإن تكبدت طهران بعض الخسائر المادية وأثر ذلك على الاقتصاد المحلي.لم يكن الدعم الاقتصادي الإيراني لسوريا بدون مقابل بطبيعة الحال، بل أن إيران اعتمدت على خطة إستراتيجية ذكية تجعل النظام السوري تحت سيطرة طهران بشكل كامل. من جانب آخر، تسعى إيران من وراء الدعم السخي الذي ينهال على نظام بشار الأسد إلى السيطرة الكاملة على آلية صنع القرار في دمشق وقد عمدت إلى إعادة هيكلة بعض الأجهزة الأمنية لضمان سهولة اتخاذ القرارات التي تراها مناسبة وعدم عرقلتها، فقامت بالتخلص من حافظ مخلوف، رئيس جهاز الأمن العام في دمشق، وكذلك مدير اللواء علي المملوك، رئيس جهاز الأمن الوطني والمستشار الخاص لبشار الأسد، علاوة على مدير الأمن السياسي وأحد أبرز قيادات جهاز الاستخبارات في سوريا رستم غزالي الذي قتل بطريقة غامضة، كما أن النظام قام فعلياً ببيع البلاد لإيران من خلال الموافقة على بيع أو رهن مبانٍ وأملاك تعود ملكيتها للدولة السورية مقابل استمرار تدفق المساعدات المالية القادمة من

طهران، وفقا لصحيفة «ليبيراسيون» الفرنسية. وتكمن خطورة الدعم الإيراني للنظام السوري وسيطرته السياسية والاقتصادية والعسكرية على القرار في دمشق في جعل سوريا منفذاً جديداً واستراتيجياً للمزيد من توغله في الداخل العربي وزرع المزيد من المليشيات والأحزاب والخلايا التجسسية في المنطقة وكذلك يساهم البعد الجيوسياسي لسوريا في تموضع إيران بالقرب من لبنان والأردن والمملكة العربية السعودية وفلسطين المحتلة. ومع التوصل لاتفاق بين إيران ومجموعة ٥+١ بشأن الملف النووي الإيراني وبالتالي رفع العقوبات المفروضة على إيران وحصولها على أموالها الضخمة المجمدة في الغرب فمن المحتمل زيادة طهران الحصص المالية المخصصة لأذرعها في الخارج ومن بين ذلك حزب الله والمليشيات الشيعية الأخرى المنخرطة في القتال في العراق وسوريا.

دور حزب الله اللبناني في الصراع في سوريا

يلعب حزب الله اللبناني دوراً محورياً في الصراع القائم في سوريا ويسهم بشكل مؤكد في تماسك النظام السوري أمام عمليات الثوار في عدة مدن ومحافظات سورية، وبالتالي نجد أن الحزب، كما هو حال الجيش النظامي السوري، يستهدف في معظم المعارك التي ينفذها الثوار والمعارضين وليس داعش والجماعات الإرهابية الأخرى التي يرى كثيرون أنها، بدورها، تقاتل الثوار السوريين، وتتحاشى التصادم مع الجيش السوري والمليشيات الشيعية المرتبطة بإيران. وينشط حزب الله في مناطق واسعة في الداخل السوري من بينها إدلب وحلب ودرعا وبعض المناطق في وسط وشرق البلاد، وتتحدث بعض التقارير الغربية أيضا عن خسارة حزب الله لأكثر من ١٠٠٠ مقاتل في سوريا مما تعد ضربة كبيرة للحزب من بين ٦٠٠٠- ٨٠٠٠ عضوا من الحزب يقاتلون في سوريا، وفقا لبعض المصادر.

إن من أخطر انعكاسات تورط حزب الله في الصراع القائم في سوريا، انتقال المعركة إلى لبنان التي لا تتحمل الظروف السياسية والتقسيم الديني والأيديولوجي فيها أي تصعيد كما أن انعكاسات الأوضاع في سوريا على الداخل اللبناني حتمية في ظل استمرار حزب الله في توريط لبنان، بشكل أو بآخر في الأزمة السورية، وبخاصة أن لبنان تعيش فراغا سياسيا منذ أكثر من عام يتمثل في عدم التوافق بين المكونات الثلاثة الرئيسية هنا (شيعة- سنة - مسيحيين) على شخصية لبنانية تتولى زمام الأمور السياسية في البلاد. الواقع يقول إن حزب الله لن يكون قادراً وربما لن يسعى إلى إخماد النار عندما تصل إلى الداخل اللبناني وسوف يجر لبنان إلى المزيد من القتل والدمار، ولقد كان صراخ الحزب المتكرر عندما وصلت بعض الجماعات السورية المسلحة إلى عرسال دلالة على أن الحزب بات عاجزاً في التصدي للمخاطر التي سيجرها إلى لبنان من خلال تلطخ أيدي الحزب بدماء الشعب السوري.

ختاماً،

تواجه إيران قرارات صعبة في ظل استمرار استنزاف حزب الله في المستنقع السوري فإما الإبقاء على دعم الحزب في مهمته في سوريا أو تقليص الدعم مما يعني خسارة مزدوجة في سوريا ولبنان على حد سواء. كما أن استمرار هدر المال الإيراني على المليشيات في الخارج مع عدم اكتراث من قبل النظام الإيراني بالأوضاع المعيشية البائسة التي يعاني منها المواطن في الداخل ستزيد من الغضب الشعبي على النظام وقد يتسبب ذلك في حراكاً شعبياً في الداخل الإيراني متى ما رأى الشعب الإيراني أن الفرصة سانحة للجوء للشارع والتعبير عن استيائه من تصرفات النظام الحالية.

خرق الاتفاق النووي الأمريكي – الإيراني قبل تطبيقه!

علي باكير– العرب القطرية ٢٠١٥/٨/١١

لم أجد حتى الآن أفضل من التعبير الدقيق الذي استخدمه القائد الأعلى السابق لقوات الحلفاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو)، الأدميرال المتقاعد «جايمس ستافريديس» في وصف الاتفاق النووي الأميركي- الإيراني عندما علّق عليه بتهكّم قائلا: «الثغرات الموجودة في الاتفاق كبيرة لدرجة أنّه من الممكن لك أن تقود شاحنة من خلالها»!!

بالفعل، في كل صفحة من الاتفاق الذي يقع في ١٥٩ هناك ثغرات خطيرة وألغام مدفونة قابلة للانفجار في أي وقت، وهو مؤشر سيئ على أن الاتفاق لا يهدف إلى حل المشكلة على المدى البعيد بقدر ما يهدف إلى معالجة المتطلبات الآنيّة للطرفين المتمثلين بالرئيس أوباما والمرشد خامنئي وبالتالي تأجيل الإشكال والانفجار الذاتي لوضع الرجلين في البلدين وترحيل المشكلة إلى مرحلة لاحقة.

إحدى أهم المشكلات المتعلّقة بنص الاتفاق نفسه أنه مليء بالنقاط التي تسمح لإيران بإيقاف تنفيذ التزاماتها الواردة فيه جزئيا أو كليا. إقدام إيران على مثل هذا الإجراء حال نشوء أي نزاع حول الاتفاق لن يكون حقيقة بمثابة خرق للالتزامات المفروضة عليها بموجبه، يكفي إيجاد أية ذريعة لفعل ذلك والاستناد إلى الفقرة التي تأتي في الصفحة السادسة بعد المقدّمة مباشرة أو إلى النقطة رقم ٣٦ في الاتفاق تحت عنوان «آلية حل النزاع» واعتبار الموضوع مثار نزاع حتى تقوم بإيقاف تنفيذ التزاماتها.

قبل ثلاثة أيام فقط، نشر موقع الوكالة الدولية للطاقة الذرية نص رسالة كانت الوكالة قد تسلمتها من الجانب الإيراني بتاريخ ٢٤ يوليو ٢٠١٥، ويظهر من خلال نصّها أن الجانب الإيراني يشكو فيها الولايات المتّحدة الأميركية متّهما إدارة أوباما بخرقها الاتفاق الذي تم التوصل إليه في فيينا في ١٤ يوليو الماضي، أي بعد أقل من ١٠ أيام فقط على إعلانه، وذلك بسبب تصريح لجون أرنست، المتحدث باسم البيت الأبيض يشير فيه إلى أن الخيار العسكري سيبقى قائما باعتباره تهديدا باستخدام القوة العسكرية ضد إيران.

لقد اعتبر الجانب الإيراني أن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها هو خرق لميثاق الأمم المتحدة و«خرق خطير» أيضا لنص الاتفاقية النووية على أساس أنّه يقوّض المتطلبات الأساسية لتطبيقه كما أنّه يخل بالالتزامات المفروضة بموجب الاتفاق. واعتبر كذلك أنّ التصريح يهدد دور الوكالة الدولية للطاقة الذريّة ويعرّضه للخطر، وقد طالبت إيران في نص الرسالة بأن تحمي الوكالة الدولية للطاقة الذرية الأسرار الإيرانية التجارية والتكنولوجية والصناعية والماديّة وأي معلومات سريّة أخرى ستطلع عليها من أي جهة ثالثة.

لكن الحقيقة أن المتحّدث باسم البيت الأبيض لم يكن يهدد باستخدام القوة العسكرية ضد إيران وإنما كان يجيب عن سؤال في جلسة إيجاز معتادة تطرّقت إلى الاتفاق النووي، وكان مما قاله أرنست في الجواب «الخيار العسكري سيبقى على الطاولة...».. هذا بطبيعة الحال ليس تهديدا بقدر ما هو شرح للخيارات المتاحة، والمفارقة أن المتحدث باسم البيت الأبيض كسائر أعضاء إدارة أوباما أراد من خلال هذا الكلام أن يبدد شكوك المستفسرين الذين كانوا يسألونه بشأن الاتفاق. بمعنى آخر، المتحدث باسم البيت الأبيض كان يحاول الدفاع عن الاتفاق النووي مع إيران، ولكن المكافأة من قبل الجانب الإيراني كانت باعتبار تصريحه خرقا للاتفاق!

لا شك أن إيران لا تبحث الآن عن وسيلة

لإيقاف الاتفاق أو الانسحاب منه، لكن يمكن ملاحظة مدى سرعة استغلالها له بكل الطرق والوسائل الممكنة والمتاحة. من خلال الرسالة الموجّهة للوكالة الدولية للطاقة الذرّية، يمكننا القول واستنادا إلى الخبرة التاريخية بسلوك النظام الإيراني بأنّ الأخير يحاول أن ينشئ قواعد تفسير لبعض مواد الاتفاق لتكون بمثابة مرجع مستقبلي للتفسير حال نشوب أي نزاع، وبالتالي فهذه الحالة اليوم هي بمثابة التأسيس لقواعد اشتباك مستقبليّة.

أضف إلى ذلك، فقد كان لافتا ربط الموضوع بدور الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومطالبتها بضرورة حماية الأسرار التي قد تطّلع عليها، ربما يريد الجانب الإيراني بذلك ربط التهديدات المستقبلية بدور الوكالة لكي يمكّنه ذلك من إيقاف أو تعطيل أي عمليات التفتيش بحجّة أن الوكالة قد تنقل معلومات حساسة إلى الجانب الأميركي يستخدمها في أي عدوان أو عمل عسكري، وهذا ربط مثير للاهتمام من دون شك.

طائفي أنا... بامتياز

عبد الرحمن السقاف– منتديات مملكة البحرين ٢٠١٥/٨/١٠

بعد نزول كتابي الثاني (خفايش الظلام - اكذوبة التقريب بين السنة والشيعة)، حصلت أصداء حوله، وكانت مختلفة بين قادح ومادح، وبين ملاحظ ومؤيد، وأكثر ما لفت نظري حول من نقدني، حيث وصفني بالطائفي الذي يسعى الى النيل من وحدة الأمة، و شق صف جماعتها!

هذه الآراء رغم قلتها إلا أنها حرّكت بداخلي أشياء وأشياء، جعلتني أقف مع نفسي قليلاً لأنظر وأتامل، باستعراض التاريخ سريعاً، حتى سألت نفسي: هل نحن أهل السنة طائفيون!

أم الطرف الآخر، وأقصد به الشيعة الامامية.

بالنظر سريعاً إلى التاريخ الشيعي الإمامي

لفت نظري أكثر من عالم شيعي إمامي كان له موقفاً مبكراً ومعادياً من أهل السنة، موقف واضح وفاضح بالتكفير.

استعرض بعضاً منهم سريعاً لنعرف بعد ذلك من الطائفي الحقيقي.

١- شيخهم محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، توفي عام ٤١٣هـ . ففي كتابه: (أوائل المقالات) صفحة (٤٩)، نراه يُكفر المخالفين له قائلاً: (واتفقت الإمامية على أنّ أصحاب البدع كلهم كفار، وأنّ على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لرددتهم عن الإيمان، وأنّ من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار).

كما قرن المخالفين له باليهود، بل جعلهم إخواناً لهم بسبب قولهم (آمين) في الصلاة! فيقول في كتابه: (المقنعة)، صفحة (١٠٥): «ولا يقل بعد فراغه من الحمد (آمين) كقول اليهود وإخوانهم النصاب».

وحكم الناصبي عند الشيعة الامامية أنه مباح الدم والمال فقد روى شيخهم الصدوق في كتابه علل الشرائع (٦٠١/٢) عن إمامهم جعفر الصادق، أنّ احد أصحابه سأله: (ما تقول في قتل الناصب؟ قال حلال الدم لكني اتقي عليك فان قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تُغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله، قال تّوه ما قدرت عليه) أي خذ ما قدرت عليه..

٢- علي الكركي العاملي، وفاته عام ٩٤٠هـ، حيث ألف كتاباً بالنظر الى عنوانه من أول وهلة ترى مقدار الحقد والكره على أهل السنة، حيث ألف كتاباً بعنوان : (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت)، ويقصد بالجبت والطاغوت : أبابكر وعمر رضي الله عنهما . وشحن في كتابه هذا أنواع الطعن والسب والتكفير لأبي بكر وعمر

وعثمان وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

وصف أهل السنة في كتابه بأنهم شرّ أهل الأرض، فقال في صفحة (١١٠): «ولكن أهل السُنة شرّ جيل على وجه الأرض، وأقلهم حياء من الله ورسوله».

وصرّح في تكفيره لأهل السُنة قائلاً في صفحة (٥٠): «نعم قال بعض سفهاء أهل السُنة من مفسري كلام الله المحرّفين الكلم عن مواضعه المتوغّلين في العناد والتعصب على أهل البيت عليهم السلام أنّ الآية عامّة في كل مؤمن أقام الصلاة وآتى الزكاة وحمل قوله راكعون بمعنى وهم يتخشّعون في صلاتهم وجعل هذا هو الظاهر بالنسبة إلى القول بنزولها في علي (ع) وأيّد ذلك بأن حمل الجمع على الواحد خلاف الظاهر. فلينظر المنصف إلى هؤلاء الكفرة الفجرة كيف يصنعون بكلام الله ودينه وكيف يُدافعون الحق بصدورهم ويخبطون في كلام الله عمداً ».

كما دعا إلى قتل أهل السُنة، إذا لم يتبعوا التشيُّع الإمامي، قائلاً في صفحة (١٧٠): «ولعمري إنّ مَن وقف على ما أثبتناه من الدلائل واطّلع على ما أوردناه من الحجج، فلم يعرف الحقّ مِن كلّ واحد منها، ولا تبيّن له طريق الهدى من جُملتها، لسقيم الفؤاد، وشديد المرض بداء العناد، ميؤوس من برئه بعلاج الكلام، إذ لا دواءَ له بعدُ إلاّ بضرب الحسام والمؤاخذة بعظيم الانتقام».

٣ـ محمد باقر المجلسي، وفاته عام ١١١١هـ، من كبار علماء الشيعة في وقته، والذين صرّحوا بكفر المخالفين له، حيث قال في كتابه: (بحار الانوار)، (٨/٣٦١): «المخالفين ليسوا من أهل الجنان، ولا من أهل المنزلة بين الجنة والنار وهي الأعراف، بل هم مخلدون في النار، ولو قام القائم بدأ بقتل هؤلاء قبل الكفّار».

وقال أيضاً (٨/٣٦٩): «ويظهر من بعض الأخبار، بل من كثير منها أنهم في الدنيا أيضاً في حكم الكفار، لكن لمّا علم الله أنّ أئمة الجور وأتباعهم يستولون على الشيعة وهم يُبتلون بمعاشرتهم ولا يُمكنهم الاجتناب عنهم وترك معاشرتهم ومخالطتهم ومناكحتهم أجرى الله عليهم حكم الإسلام توسعة، فإذا ظهر القائم عليه السلام يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبداً مع الكفار).

بالنظر لما سبق ذكره من تكفير من شيعة إمامية، فإنّ ما صدر منهم من تكفير لأهل السنة، كان بداية فعل، فكان لزاماً علينا نحن أهل السنة أن يكون لنا موقف حيال ذلك، وبما أنني وأمثالي نرى أنه من الواجب الشرعي الشخصي - مع توافر الادوات والمصادر الشيعية - بالرد على هذا الافتراء وتصحيح ما اتُهمنا به، من أنّ اهل السنة هم التكفيريون، فإن كان هذا الرد وهذا الفعل طائفي، فنعم أعلنها أمام الملأ اجمع: ((أنا طائفي بامتياز .. طائفي من مفرق رأسي إلى أخمص قدمي، لكن طائفيتي ردة فعل لا بداية فعل.. ردة فعل على من يتعرض لرموزنا ومقدساتنا، ويتجرأ على تكفيرنا بسبب عدم اعتقادنا بولاية وإمامة ما أنزل الله بها من سلطان)).

وهذا حق أدبي كفله لنا النقل والعقل، يقول تعالى: ﴿وإن عدتم عدنا﴾.

والمصيبة أنه بعد هذا الطرح من بيان من الطائفي والتكفيري الحقيقي، إلا أنه لازال يخرج لنا في كل حين ناعق من الشيعة الإمامية، أمثال مرجعهم المعاصر صادق الشيرازي حيث يقول في كتابه: (حقائق عن الشيعة)، صفحة (٢٨): (هؤلاء «الوهابية» زمرة قليلة جداً بالنسبة إلى المسلمين يرون أنفسهم هم المصيبون وهم المسلمون حقاً، ويرون غيرهم من المسلمين كافرين مشركين، يعبدون من دون الله؛ لأن غيرهم مسلمون مخطئون؛ ولذا فهم يكفرون جميع طوائف المسلمين).

ونقول للمرجع صادق الشيرازي ومن لفّ لفيفه، بأنّ الطريف في مقالي هذا، أنّ القاسم

المشترك بين علماء الشيعة الثلاثة الذين كفروا أهل السنة (المفيد، الكركي، المجلسي)، أنّ تكفيرهم لأهل السنة صدر منهم قبل ولادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي نسب إليه أعداؤه فرية تكفيره للآخرين.

فمن الذي بدأ بالتكفير، ومن هو التكفيري الآن؟

الشيعة الامامية أو ما يُسمى بالوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب الذي لم يكن قد وُلد بعد، إبّان خروج عبارات التكفير ممن سبقه من علماء الشيعة الامامية!

لنقود إيران إلى حارة ضيقة اسمها الديموقراطية

جمال خاشقجي– الحياة ٢٠١٥/٨/٢٥

بعد التوصل إلى الاتفاق النووي الإيراني، راجت بين الساسة الأوروبيين والأميركيين فكرة الدفع بحوار بين السعودية وإيران لحل مشكلات المنطقة. ظاهر الاقتراح منطقي، فلو اتفق البلدان لكان ممكناً حل معظم مشكلات المنطقة، وبغض النظر عن التصريحات الإيرانية غير المشجعة، التي لا تزال محتقنة بعبارات «دعم محور المقاومة» و «المناضلين في المنطقة»، التي لا تعني غير الاستمرار في السياسة نفسها التي أدت إلى المواجهة مع المملكة، ولكن لنفترض أن الرياض استجابت لدعوة أصدقائها في الغرب وفتحت باباً للحوار مع طهران، فكيف سيمضي هذا الحوار؟

الإيرانيون يحبون الجدل، والمفاوضات الماراثونية، وكذلك التملص من الالتزامات، وفي حال إعلان السعودية الموافقة على حوار مباشر معها، سيهرع وزير خارجيتهم محمد ظريف إلى الرياض، ومعه ١٠ من الخبراء، من أساتذة في العلوم السياسية والاقتصاد ومؤرخين ومنظرين، مع كم هائل من الابتسامات والقبل، وحديث لا ينتهي عن «الوحدة الإسلامية»، بل حتى الدعاء والدموع، في الوقت ذاته لن تتوقف شحنات البراميل المتفجرة الإيرانية الصنع المرسلة الى نظامي بشار الأسد وحيدر العبادي، ولو استطاعوا لأرسلوا مثلها الى الحوثيين وصالح. الحل هو في دفعهم نحو هدف محدد، لا يحتمل إلا القبول أو الرفض، ليكن حارة ضيقة اسمها «الديموقراطية لسورية واليمن»، ثم بعدها تكون المصالحة التاريخية بين السعودية وإيران، فإما أن يقبلوا بالتفاوض هناك وإما أن ينتهي كل شيء ولا تبقى غير مواجهة تاريخية أيضاً.

لو قال لهم رئيس الوفد السعودي المفاوض وزير الخارجية عادل الجبير، نريدكم أن توقفوا تدخلاتكم في المنطقة، لقالوا نحن لا نتدخل، نحن ندعم ثورة في اليمن ونظاماً شرعياً في سورية. لو قبل الجبير بمنطقهم التفاوضي ورد مفنداً أن الحوثيين ليسوا ثورة، وإنما انقلاب ألغى القوى اليمنية الأخرى، وأن بشار لم يعد نظاماً شرعياً، وشعبه يرفضه، فسيجادل الإيرانيون بأن الحوثيين ثورة شرعية، ويعرضون صوراً لحشود هائلة جمعوها في صنعاء قبل أسابيع في يوم القدس العالمي، الذي لا يحتفل به غيرهم مع أنصارهم، فيقول ظريف، وابتسامة تعلو محياه: «ماذا تسمي هذه يا أخي؟ هل يستطيع انقلاب مرفوض أن يجمع كل هذه الملايين»؟ ثم يتدخل عضو آخر في الوفد الإيراني، أستاذ في العلوم السياسية ويسأل: «ما هو تعريفك للنظام الشرعي»؟ ولو انجر السعوديون إلى منطقهم، وقدموا بعد يوم أو يومين دراسة مفصلة تتضمن التعريف الصحيح للنظام الشرعي وأدلة تثبت الانقلاب الحوثي، لقدم الإيرانيون ردهم بعد يوم آخر، وبينما تستمر هذه المفاوضات العقيمة، تصل شحنة ثانية وثالثة من البراميل المتفجرة لبشار، لتسقط ناراً وقتلاً على رؤوس أطفال ونساء في حلب ودرعا، في الوقت نفسه تأتي الأخبار بوصول مساعد وزير الخارجية الإيراني إلى موسكو لدفع

الـروس لتقـديم قـرار لمجلس الأمـن يقـضي برفـع حـصار التحـالف عـن مطـارات ومـوانئ الـيمن، «لتخفيـف المعانـاة الإنـسانية عـن المـدنيين هنـاك»، في محاولـة للالتفـاف علـى النكـسات العـسكرية الـتي تعرضوا لها.

هكـذا هـو التفـاوض مـع إيـران، ولكـن البلـدين في حاجـة إلى مـصالحة حقيقيـة، فهمـا ينـدفعان نحـو مواجهـة ستـضر بهمـا لا محالـة إن استـمر هـذا «الـشغب» الإيرانـي كمـا سماه عـادل الجـبير، فكيـف يمكـن اسـتغلال الأجـواء الإيجابيـة بالمـصالحة التاريخيـة بـين إيـران والولايـات المتحـدة؟ وزيـر الخارجيـة الأميركـي جـون كـيري، في طريقـه إلى جـدة، ولعلـه سـيحث الـسعودية علـى التفـاوض مـع إيـران، فهـم يريـدون أن يغـسلوا أيـديهم مـن سـلبيات الاتفـاق الـذي لم يعـالج سياسـة طهـران التوسـعية في المنطقة، ورضخوا لإصرارها على اتفاق نووي فقط.

ولكـن كمـا سـبق القـول، فـإن التفـاوض مـع طهـران عمـل غـير مـريح ومجـدٍ إذا كـان في عمـوم المسائل. الأفـضل هـو دفعهـا إلى حـارة ضـيقة لا تحتمـل خلافـاً حولهـا، هـي «حـارة الديموقراطيـة» لحـسم الـصراع بـين البلـدين في الـيمن وسـورية، وتأجيـل العـراق علـى أسـاس أنهـا أصـلاً في تلـك الحـارة ابتـداء، فحكومـة العبـادي علـى عوارهـا وطائفيتهـا حكومـة منتخبـة. سـتقول لهـم الـسعودية: «إننـا نقبـل بـتمكين الغالبيـة في البلـدين مـن الحكـم، مثلمـا قبلنـا بـتحكم الغالبيـة الـشيعية الموالية لكـم في العـراق». سـيحاول الإيرانـي الـتملص كعادتـه، ويقـول: مـا لكـم ومـا للديموقراطيـة، أنـتم لا تمارسـون الديموقراطيـة فيكـف تريـدونها حـلاً في سـورية والـيمن؟ الـرد أن الحـرب والفتنـة وانهيـار الدولـة والنـزاع علـى الحكـم لـيس في الـسعودية أو إيـران، نحـن دولـة ملكيـة إسـلامية مـستقرة، وأنـتم جمهوريـة إسـلامية مـستقرة، لنحـافظ علـى اسـتقرار بلـدينا، ونلتـزم بعـدم التـدخل في شـؤون بعـضنا الـبعض، لـن نـنـاقش عـوار ديمـوقراطيتكم، ولـن نتحـدث عـن أحـداث ٢٠٠٩ في بلادكـم، ولا عـن المرشـح المعتقـل ابـن النظـام مـير حـسين موسـوي وأنـصاره الإصـلاحيين، هـذه قـضيتكم الداخليـة، ولكـن سـورية والـيمن جمهوريتـان، يبـدأ دسـتوراهما بـأن الـشعب هـو مـصدر الـسلطات، بالتـالي لنوقـف التـدخل في البلـدين، ولـيكن بقـرار مـن مجلـس الأمـن تحـت الفـصل الـسابع، يعاقـب أيـة دولـة ترسـل سـلاحاً أو ميليـشيات، وينـسحب «حـزب الله» وكـل الفـصائل الـشيعية الـتي أرسـلتموها إلى هنـاك، وفي الـيمن تهيـأ الأجـواء لانتخابـات حـرة، بانـسحاب الحـوثيين مـن المـدن والثكنـات العـسكرية، ويطلـق سـراح المعـتقلين، ويعـود الـرئيس الـشرعي، ونـدعم معـاً إرسـال قـوات حفـظ سـلام للبلـدين، ولتـشترك مـع بلـدينا كـل الـدول الـتي وقعـت معكـم اتفـاق فيينـا، فالانتخابـات تحتـاج إلى إعـداد يـستغرق عامـاً أو أكثـر في سـورية، ودون ذلـك في الـيمن، نـساعد ملايـين الـسوريين في العـودة إلى بلادهـم، ومـن لا يستطيع يصوت حيثما هو.

وصـفة سـلم منطقيـة، تتفـق مـع روح المـصالحة بـين شـيطاننا الأكـبر (إيـران) وشـيطانكم الأكـبر (الولايات المتحدة).

في الغالـب سـيعودون إلى طبيعـتهم الأولى، الـتملص، لكـن نحاصـرهم بقـرارات أمميـة وبالاسـتمرار في سياسـة الحـزم والعـزم، برفـع مـستوى الـدعم للثـورة الـسورية، ومـؤازرة الأتـراك، وحـثهم علـى الوفـاء بتعهـداتهم بالتـدخل في الـشمال هنـاك، فـلا يخـف ضـغطنا إلا أن نـرى مـنهم اسـتجابة لهـذا المـشروع، أمـا غـير ذلـك فهـو الاسـتمرار في المواجهـة الكـبرى الـتي لا تحتمـل أنـصاف الحلـول، فإمـا نحـن بمـشروعنا الـديموقراطي التـشاركي الـذي يـستوعب الجميـع، وبنـاء شـامنا ويمننـا التعـددي، وإمـا هـم بمشروعهم الطائفي الضيق.

خيارات إيران في الهلال الخصيب

أنس الوهيبي– العربي الجديد ٢٠١٥/٧/١٩

يعكف المسؤولون الإيرانيون، المنشغلون بالمفاوضات النووية وإعادة الاصطفافات التي سيرتبها أي اتفاق داخل هيكلية النظام في إيران، على إعادة ترتيب أوراقهم في منطقة الهلال الخصيب، بغرض مواجهة ضغوط منافسيهم الإقليميين هناك.

وبداية، أكد الساسة الإيرانيون، الذين يعتبرون سورية درة تاج نفوذهم الإقليمي في العالم العربي، أنهم سيواصلون تقديم الدعم لبشار الأسد «حتى النهاية»، على خلفية سقوط إدلب وتدمر، بالترافق مع زيادة دعمهم مليشيا الحشد الشعبي، عقب استيلاء تنظيم داعش على مدينة الرمادي، مركز محافظة الأنبار العراقية. وعلى الأغلب، إنهم ينتظرون انتهاء المفاوضات النووية، لكي يتفرغوا للوضع في سورية.

وعلى طاولة المرشد الأعلى للثورة في إيران، علي خامنئي، أربعة خيارات للتعامل مع المستجدات في سورية والعراق. أولها، إعادة الهيمنة الإيرانية على الهلال الخصيب. ثانيها، الإقرار بانهيار الهيمنة الإيرانية هناك، والعمل على إشاعة الفوضى الإقليمية لاستنزاف المنطقة وتشتيتها، تمهيداً لتقسيمها. ثالثها، الدفع وراء تسوية منفردة مع الأميركيين حول سورية والعراق. رابعها، تحسين المواقع الإيرانية، استعداداً للحظة التسوية الجماعية. لكن، ربما كان في دروس الواقع، والماضي، عبرة للإيرانيين.

إعادة عقارب الساعة

يتمثل الخيار الأول بالنسبة لإيران في استعادة الهيمنة الشاملة على الهلال الخصيب، عبر مساعدة النظامين في دمشق وبغداد على استعادة سيطرتهما المطلقة على سورية والعراق على التوالي. ولكن، وبناء على التراجع في قوة الجيش النظامي وحزب الله ومليشيات الدفاع الوطني في سورية، سيتطلب هذا الخيار التزاماً إيرانياً كبيراً، مدعوماً بعشرات آلاف الجنود من الجيش والحرس الثوري الإيرانيين.

اكتفت إيران، إلى الآن، بتدخل محدود في سورية، يعتمد أساساً على المستشارين العسكريين والمتطوعين وحشد المقاتلين الأجانب. ومع ذلك، أزعج هذا التدخل المحدود السعودية وتركيا، اللتين ردتا بزيادة دعمهما الثوار، ووضع خطوط حمراء داخل الأراضي السورية، يُمنع اجتيازها.

وعلى الأرجح إن تطور التدخل الإيراني، من وضعه الاستشاري الراهن، إلى العسكري المباشر، سيثير غضب الدول الإقليمية، ويدفعها إلى إنشاء مناطق عازلة داخل سورية، وتزخيم دعمها الثوار من أجل استنزاف إيران بشدة أكبر.

وإذا كانت طهران قد احتاجت إلى ضوء أخضر أميركي وروسي مزدوج، من أجل إتمام تدخلها «المحدود» في سورية، فإن إرسال عشرات الآلاف من الجنود الإيرانيين إلى هذه الدولة سيتطلب ما هو أكثر من الضوء الأخضر، إذ على الأرجح أن تطلب إيران تكليفاً دولياً أو على الأقل ضمانات دولية.

وسبق لدمشق أن جربت التدخل العسكري المباشر في جارتها الضئيلة لبنان، والذي انتهى باتفاق الطائف، وبوصاية سورية على الشأن اللبناني، أُخضعت لقيود الشراكة مع السعودية من جهة، ومع إيران من جهة أخرى، فضلاً عن الإشراف الأميركي. وعلى الأرجح أن ينتهي أي مسعى إيراني لاستعادة الهيمنة على سورية بشيء مماثل لاتفاق الطائف، وهي نتيجة محددة منذ الآن في بيان جنيف.

علاوة على ذلك، سيقود التدخل الإيراني المباشر، الذي سيتم بذريعة محاربة الإرهاب، إلى خوض إيران حرباً برية ضد تنظيم داعش، الأمر الذي رفضته القوى الدولية والإقليمية. وبناء على تجارب الغزو الأميركي لكل من أفغانستان

والعراق، وتجربة التحالف الدولي الذي تقوده واشنطن ضد داعش، فإن الصراع العسكري مع هذا التنظيم لن يكون نزهة بالنسبة للجيش الإيراني، حتى لو تم بالتنسيق الكامل مع قوات التحالف الذي تقوده واشنطن.

وتتضح مخاطر سعي دولة من الدول إلى استعادة هيمنتها الشاملة بعد انهيارها، من حادثة وقعت قبل حوالي أربعمائة عام، فقد رفض آل هابسبرغ حكام الإمبراطورية الرومانية المقدسة وإسبانيا، الإقرار بنتائج الإصلاح الديني، وأصروا على إعادة الهيمنة الشاملة للسلطة الإمبراطورية والكنيسة الكاثوليكية على مناطق الاعتراف البروتستاني في شمال ألمانيا. في نهاية المطاف، تسبب تحجر آل هابسبرغ وعنادهم، وضيق أفقهم في خسارتهم هيمنتهم التقليدية على أوروبا لصالح آل بوربون حكام فرنسا. فكان ذلك أهم نتيجة لحرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ – ١٦٤٨)، والتي كرسها صلح وستفاليا. ولم يفت مستشار النمسا، كليمانس فون مترنيخ، الدرس بعد نحو قرنين. لقد أجبرت هزيمة آل هابسبرغ أمام الإمبراطور نابليون بونابرت على تصفية الإمبراطورية الرومانية المقدسة (عام ١٨٠٦). وعندما عرضت روسيا على النمسا استعادة الإمبراطورية ثمناً لاشتراك فيينا في الحرب ضد بونابرت، بعد حريق موسكو، أبى مترنيخ ذلك، وفضل تأسيس الاتحاد الألماني الذي تترأسه النمسا.

أما محاولات بونابرت نفسه للهيمنة على أوروبا، فقد انتهت بتكتل الدول الأوروبية ضده، وهزيمته، وانهيار امبراطوريته.

تغذية الفوضى وصولاً إلى التقسيم

لإيران مصلحة في تشتيت العرب في الهلال الخصيب وتقسيمهم. وهي تملك خياراً في أن تستثمر الفوضى الراهنة في المنطقة، والتي سببها الانهيار المزدوج لمشروع الهيمنة الإيرانية ولاتفاقية سايكس بيكو. يتطلب هذا الخيار من إيران تبني نهج إدارة الأزمة، وقياساً دقيقاً لموازين القوى على الأرض، كي لا تفلت الأمور وتؤدي إلى خروج أعدائها منتصرين، كما يقتضي التقسيم وجود قوات احتلال إيرانية. وضمن الوقائع الحالية، تحتاج طهران كي تُفعّل خيارها هذا إلى رصد قوة عسكرية معتبرة من حوالي ٢٥ ألف جندي، وعليها أن تحتل محافظة ديالى فعلياً، كي تضمن تحصين الأراضي الإيرانية من الفوضى.

واحتمال أن ترضخ القوى الإقليمية للاستراتيجية الإيرانية وارد، خصوصاً إذا ما ترافقت مع تصعيد الجهود الإيرانية لزعزعة استقرار الخليج واليمن وتركيا. لكن الاحتمال الأكبر يتمثل في زيادة التعاون والتنسيق بين القوى الإقليمية لمواجهتها، وهو أمر سيقض مضاجع الإيرانيين.

كما أن إيران، التي تعول كثيراً على العودة إلى الاقتصاد العالمي، ربما تريد بعض الاستقرار من أجل تحريك عجلة اقتصادها الراكد. وفوضى إقليمية قد تكبل الاقتصاد الإيراني، وتعافيه الضروري من أجل تأمين الموارد الكفيلة بتنفيذ خطة «تفكيك الهلال الخصيب». وعلى الأرجح، إن تقسيم دول الهلال الخصيب، على الرغم من جاذبيته للساسة الإيرانيين، لا يشكل خياراً تعمل طهران حقيقة على تنفيذه (فضلاً عن واقعية تطبيقه، في ظل رفض قطاعات كبيرة في دول الهلال نفسها للتقسيم، وعدم قبول القوى الإقليمية والدولية به)، وذلك لأن تداعيات التقسيم في الهلال الخصيب ستعود، من دون أدنى، شك بتداعيات خطيرة على وحدة الأراضي الإيرانية نفسها.

التسوية المنفردة مع واشنطن

لهذا الخيار جاذبيته الكبرى بالنسبة لطهران. فالإيرانيون مقتنعون بافتراق المصالح بين واشنطن وحلفائها الإقليميين (تركيا والسعودية وإسرائيل)، وأن لكل من هذه الأطراف رؤى متناقضة بالنسبة لشكل المنطقة ومستقبلها، ومحاربة داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى. لذلك، يعوّل المسؤولون الإيرانيون على الاتفاق النووي المفترض أن يتم التوصل إليه قريباً، من أجل فتح أبواب الصفقة

الإقليمية مع الولايات المتحدة، يكون عنوانها التحالف ضد داعش.

وكي تظفر طهران بهكذا صفقة، عليها أن تثبت لواشنطن قدراتها في محاربة داعش، وتحكمها بسلطة اتخاذ القرار في كل من العراق وسورية.

وفي الوقت الراهن، تشير الدلائل إلى أن طهران سائرة في هذا الاتجاه، إذ تنشط الدبلوماسية الإيرانية من أجل تصليب المحور الإيراني العراقي السوري، عبر إبرام اتفاق أمني، يجمع الأطراف الثلاثة، يمكنها من وضع ترتيبات عسكرية وأمنية مشتركة، من أجل مكافحة داعش، وبذلك، تزيد من جاذبية الاختيار الإيراني في نظر الأميركيين. ولكن، إذا كانت القوى الإقليمية قد نجحت، إلى حد كبير، بوضع العصي في دواليب المفاوضات النووية، فكيف ستكون ردة فعلها على صفقة إقليمية بين أميركا وإيران، تهدد مصالحها المباشرة، وتحيلها إلى مجرد قوى ثانوية هامشية الدور في المنطقة؟

وربما كان لمجريات الأحداث في العام ٢٠١٥ درس عميق للإيرانيين، فمع اقتراب التوصل إلى اتفاق نووي، تناست تركيا والسعودية وروسيا خلافاتها، وتلمست طريقها نحو صوغ تفاهمات مشتركة، وما لبثت أن ظهرت النتائج في اليمن وسورية. وإذا ما اشتمل الاتفاق النووي على جزء إقليمي، أو أدى إلى صفقة إقليمية، فإنه سيدفع تلك الدول إلى مزيد من التعاون.

وبحلول العام (٢٠١٦)، ستكون الدول الإقليمية قد تحررت من وطأة يد الرئيس الأميركي، باراك أوباما الثقيلة، الذي سيتحول إلى «بطة عرجاء». وبذلك، ستكون قادرة على تقويض أي صفقة إيرانية أميركية منفردة حول المنطقة. وبدفع من القوى الإقليمية، قد يلجأ الكونغرس الأميركي إلى تشديد ضغوطه على إيران، ويربط تنفيذ الاتفاق النووي بتنازلات إقليمية.

وعلى الأرجح، ستتريث إدارة أوباما قبل الإقدام على هكذا صفقة. فتمرير الاتفاق النووي مع إيران داخل أروقة الكونغرس سيستنفد موارد هائلة من الإدارة. كما أن أوباما لن يكون في وضع يمكنه من تسليم إيران مطالبها، بموجب صفقة إقليمية، ولو أراد، لاقتراب ولايته من نهايتها واشتعال السباق على البيت الأبيض مع بداية العام المقبل.

وأخيراً، وحتى لو كانت إدارة أوباما حريصة على التوصل إلى اتفاق حول البرنامج النووي الإيراني، لكنها تريده وسيلة لإدماج إيران في المنظومة الدولية، وأحد اللبنات في بناء نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط، يقوم على التوازن بين الفرس والعرب والأتراك والأكراد.

تحسين المواقع قبل التسوية الجماعية

الإقرار بانهيار مشروعه للهيمنة على الهلال الخصيب هو أمر ثقيل الوطأة على خامنئي، بل وعلى كل النخب الإيرانية. والأشد منه وطأة عليهم هو الدخول في صفقة دولية إقليمية جماعية، لإعادة ترتيب المنطقة وإنشاء نظام إقليمي جديد. ومع ذلك، تملك إيران هذا الخيار. وعلى الأرجح أن تكون هذه الصفقة على نسق اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية اللبنانية، في أواخر العقد التاسع من القرن العشرين، ولكن، هذه المرة، على صعيد الهلال الخصيب ككل.

ستشمل هكذا صفقة أطرافاً دولية، كالولايات المتحدة وروسيا، وإقليمية (تركيا - إيران – السعودية) ومحلية، السنة والعلويين والأكراد في سورية، والشيعة والسنّة والأكراد في العراق، والشيعة والسنة والمسيحيين في لبنان. ستستند هذه الصفقة في عملية إعادة تنظيم دول الهلال الخصيب إلى مكونات كل دولة من هذه الدول. ولكن، من دون الوصول إلى تقسيمها. وربما تكون الفيدرالية أحد الحلول.

تتحسس إيران الخطر من هكذا صفقة، فهي تؤدي إلى تراجع نفوذها الراجح في العراق ولبنان، وتقلص نفوذها في سورية إلى حد خطير. لذلك، قد تسعى إلى تحسين شروطها في هذه الصفقة، عبر سياسة من شعبتين. الأولى، دفع الحشد الشعبي بعيداً في مجاهل الأنبار، وصولاً إلى الموصل، وفرض الأمر على الجميع. الثانية، تعزيز صمود النظام في «سورية المفيدة»، وترسيخ الميليشيات عبر مزيد من تفتيت الجيش، وتنظيم الأقليات والعشائر في جيوش صغيرة تكفلها طهران.

بهذا، تتمكن إيران من زيادة نصيبها في كل من العراق وسورية في أي تسوية جماعية.

معضلة الخيارات

يبدو أن هذه الخيارات المطروحة أمام خامنئي، وسواء طبقت بشكل منفرد، أو جرى إيجاد مزيج منها، ستعود في النهاية إلى المعضلة الراهنة نفسها. إن الحلول العسكرية وهم، واجتراح الحلول السياسية أمر في غاية التعقيد.

كما أن دروس التاريخ توضح لإيران مخاطر التشدد في تطبيق سياسةٍ، لا تملك مواردها، إضافة إلى استحالة فرض أمر واقع إقليمي بالقوة. وربما بقي أمام إيران منفذ واحد، هو استخدام نفوذها لإنهاء الفوضى في الهلال الخصيب، عبر المساهمة في وضع ترتيب دولي وإقليمي شرعي، يراعي علاقات حسن الجوار والصلات التاريخية والثقافية، بين العرب وجيرانهم الإيرانيين. والسؤال: هل تملك طهران الخيال والجرأة لتنفيذ هكذا مقاربة.

قتلَ اللّه مَن قتل تنطّعه أهلَ الشام

مجاهد ديرانية– مدونة زلزال الثورة السورية ٢٠١٥/٨/٦

نشرتُ قبل أربعة عشر شهراً مقالة بعنوان «قتل اللّه من قتل بجهله أهل الشام»، أخذت عنوانها من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام على الجَهَلة المتنطّعين الذين استفتاهم صاحبُهم والتمس عندهم رخصة فلم يرخّصوا له فمات، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «قتلوه قتلهم اللّه». خاطبتُ فيها قوماً جاهلين أو مكابرين، يريدون حمل أهل الشام على العزائم وإلزامَهم بمشروعات خيالية عجز أصحابُها عن تحقيقها في بلدانهم، ولا يبالون - في سبيل تحقيقها في الشام- بدماء أهل الشام وما يصيبهم من مِحَن وآلام.

ولو أنهم استجابوا للمقالة الأولى فتركونا وثورتَنا وجهادَنا لما اضطَرّوني إلى إعادة الخطاب بهذه المقالة. على أني لن أوجّهها هذه المرة لمَن قتل أهلَ الشام بجهله، بل لمن يقتلهم بتنطّعه وتكلّفه. أوجّهها إلى الذين دمّروا بجهلهم وتنطعهم وغلوّهم ساحات جهاد سابقة، ثم ما يزالون يكابرون ويصرّون على الجهل والتنطع، فكأنهم لا يبالون بالمسلمين أن يتعرضوا بسببهم للكارثة بعد الكارثة، أو كأنهم ماتت ضمائرُهم فلا يتعرضون لتأنيب الضمير.

عندما أتابع فتاوى بعض المتنطعين المتكلفين أكاد أحس أن عندهم نسخة من القرآن فيها حرف ساقط من آية المائدة، فهي في مصحفهم: «يريد الله ليجعل عليكم من حرج»، وهي في مصاحفنا: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾.

وعندهم: «يريد الله بكم العسر ولا يريد بكم اليسر»، وعندهم: «لا يكلف الله نفساً إلا فوق الوسع»، وأيضاً: «فاتقوا الله فوق ما تستطيعون»... ومثل هذا في مصحفهم - كما يُخيَّل إليّ- كثير!

ألا يتقون الله في أمة محمد ﷺ؟ ألا يتقون الله في أهل الشام؟ أما لهم قلوب؟ لو كانت لهم قلوب تحسّ وتشعر ورأوا ما نزل بأهل الشام من البلاء لالتمسوا لهم الرخصة بعد الرخصة، ولكنهم لا يفعلون، ولا يرضيهم إلا أن يحملوا أهل الشام على عزيمة أقالهم الرحمنُ الرحيم منها وجعل لهم فيها فسحة؛ يقولون لهم: عليكم واجب لا نجد لكم فيه رخصة. واجبٌ عليكم قتالُ نظام الأسد والمليشيات الحليفة الطائفية في الشام وقتالُ إيران ووقفُ التمدد الشيعي الفارسي في بلاد الإسلام، ومحرَّمٌ عليكم تلقي الدعم من أي مكان، ولو كان دعماً غيرَ مشروط بأي شرط كان. واجبٌ عليكم تكفير واستعداء حكومات الخليج وتركيا وسائر حكام بلاد العرب والإسلام، وإنّ تحالفكم مع الأتراك لقتال المسلمين حرام وإجرام!

أتعلمون مَن المسلمون الذين لا يجوز أن نحالف تركيا ضدهم؟ إنهم خوارج العصر، الدواعش! لقد بلغ الغلوّ والتنطع بهؤلاء الناس أن يَعدّوا داعش في المسلمين ويَعدّوا الدولة التركية في المرتدّين. لماذا يا فقهاء الزمان؟ قالوا: لأن الدولة (أي داعش) تحكم بالإسلام وإن ظلمت، وهؤلاء يحكمون بغير الإسلام وإن عدلوا. فالميزان عندهم هو الظاهر الخدّاع الذي ما عاد ينخدع به حتى الأطفال! أمَا علموا أنه لا يستوي عدمُ الحكم بالإسلام في حالة العجز عنه، والظلمُ والبغيُ مع القدرة على العدل والإحسان؟ ألا يعلمون أن دفع الضرر المحقَّق الذي يفتك بالثورة اليوم مقدَّمٌ على دفع ضرر متوهَّم قد لا يأتي في أي يوم من الأيام؟ على هؤلاء الجَهَلَة المتنطعين السلام.

لم يُثِرْ عجبي في الأيام الأخيرة شيء أكثر ممّا أثاره النقاشُ الذي جَرّنا المتنطعون إليه: هل الاستعانة بإخواننا الأتراك في قتال خوارج داعش حلال أم حرام؟ ما هذا هو السؤال الصحيح، السؤال الذي كان ينبغي أن ننشغل به هو: هل هذه الاستعانة جائزة أم واجبة؟ وعندي أن الجواب محسوم: إنها واجبة على مجاهدي الشام، ومَن فرّط فيها فإنه يحاسَب ويُلام لأنه يتسبب في إرهاق أهل الشام وفي تطويل المعركة مع النظام.

ألا ليعلم المتنطعون أن مجاهدي الشام أغيَرُ منهم على الشام وأهل الشام وجهاد الشام، وأن من حقهم أن يجتهدوا فيما من شأنه تقصير المحنة وتخفيف الكرب عن الناس، بل إنهم يأثمون لو استطاعوا أن يفعلوا ثم لم يفعلوا. وليعلموا أن مجاهدي الشام حملوا السلاح لإسقاط النظام وتحرير الشام من احتلال النظام الأسدي الطائفي، لا لقتال العالم وإعلان الحرب على دول الكفر والشرك والنفاق في شرق العالم وغربه. فمن كانت له رغبة في محاربة العالم فليصنع من غير أرضنا وفي غير معركتنا، لا نمنعه ممّا يهوى ولا يفرض علينا ما لا نريد.

لا ينقضي العجب من أولئك الذين يبالغون في تحميل أهل الشام أثقلَ الأحمال وهم يُمضون أعمارهم في الرخاء والأمان، الذين بُحَّت أصواتُنا في التحذير من داعش والدعوة إلى قتال داعش يوم كانوا يدافعون عنها ويتعذّرون لها الأعذار، والذين يخذّلون اليوم عن قتال داعش مع إخواننا الأتراك لأنهم يرون حكومتَهم حكومةَ كفر وردّة ويرون الدواعشَ بغاةً من المسلمين. ساء ما يحكمون!

في الحديث الصحيح: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»، كررها نبيّ الله عليه

صلاة الله وسلامه ثلاثاً لأنهم - من تنطّعهم- لا يسمعون. لو كانوا هم الهالكين فحسب لهان الخطب، ولكنهم يعيشون آمنين ويريدون أن يُهلكوا بتنطعهم أهل الشام. قتل الله مَن قتل بتنطّعه أهلَ الشام.

هل هو ظريف حقاً؟

أسامة شحادة- صحيفة نيسان ٢٠١٥/٨/٦

قام جواد ظريف وزير خارجية إيران بنشر رسالة أو مقال في عدة صحف عربية بعنوان «الجار قبل الدار»، فهل كان ظريفاً فيها؟

إنه يقول في رسالته: «إن أولى أولويات إيران منذ البداية، هي أنها تنشد علاقات طيبة ووطيدة مع جيرانها»، وقد رأينا حسن الجوار الإيراني منذ ظهور جمهوريتهم الإسلامية عبر سنوات الحرب الثماني مع العراق، والتي رفضت فيها إيران كل مبادرات الصلح والجيرة، حتى رضخ الخميني للسلم منهزماً ومتجرعًا للسم، ثم رأينا سلوكياتها لحسن الجوار بتفجيرات مكة المكرمة والكويت وانقلاب في البحرين.

ثم في عهد مرشدهم الحالي خامنئي رأينا سياسة حسن الجوار بدعم الاحتلال الأمريكي في غزو أفغانستان والعراق، وتواصل هذه السياسة وانتقالها من دعم الاحتلال الأمريكي لممارسة إيران للاحتلال بنفسها لأربع عواصم عربية ونفوذها المتعاظم في عدد آخر من الدول العربية والإسلامية، فنعم الجار الجار الإيراني!!

ثم قال أو قاء ظريف: «يكون الحوار الإقليمي وفق أهداف مشتركة ومبادئ عامة تعترف بها دول المنطقة، وأهمها:

احترام سيادة ووحدة تراب جميع الدول واستقلالها السياسي وعدم انتهاك حدودها، الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، تسوية الخلافات سلميا، منع التهديد أو استخدام القوة، والسعي لإحلال السلام والاستقرار وتحقيق التقدم والسعادة في المنطقة».

يا سلام على احترام إيران لسيادة الدول المجاورة لها، إذ لا تكاد توجد دولة مجاورة لإيران لا تحتوي سجونها على عناصر استخبارات إيرانية إرهابية قبض عليها بالجرم المشهود، وإذا خلت السجون من الإيرانيين فأدراج المحاكم مليئة بملفات قضاياهم!

طبعاً هذا لا علاقة له بالأسرى الإيرانيين الذين في قبضة المقاومة اليمنية أو العراقية أو السورية، فهؤلاء سياح إيرانيون قُبض عليهم ظلماً وزورا!!

ثم قال ظريف: «علينا جميعا أن نقبل حقيقة انقضاء عهد الألاعيب التي لا طائل تحتها، وإننا جميعا إما رابحون معاً أو خاسرون معاً، فالأمن المستدام لا يتحقق بضرب أمن الآخرين».

ومرة أخرى تحتار مع كلام ظريف، هل هو جاد أم يمزح، هل فعلاً هذه الرسالة كتبها وزير خارجية إيران، مَن الذي سياسته تقوم على الألاعيب، مرة يدعون إلى المقاومة والتصدي والصمود، ومرات تمر الطائرات الصهيونية فوق رؤوسهم تضرب دمشق، فتغلي دماؤهم فيقصفون بالبراميل أطفال حلب!

ومرة يلعنون مشعل ويقطعون عنه وعن شلح الدعم، ومرة يتفاخرون بشكر أبي عبيدة لهم، وهكذا في مسلسل من الألاعيب أطول وأسمج من المسلسلات المكسيكية.

أما ضرب أمن الآخرين فهذه حكاية لوحدها، وحقيقةً حين أتخيل ضحكات ظريف وهو يوقع الاتفاق النووي، أتساءل: هل كانت تخفي هذه الضحكات خلفها صفاقة سميكة!

وحين أراد أن يقدم مبادرة عملية لتخفيف التوتر في المنطقة، قال: «إذا كان مقرراً أن نختار موضوعاً من بين الفجائع في المنطقة للبدء في مباحثات جدية، فإن اليمن سيكون نموذجاً جيداً،

وقد اقترحَت إيران حلا معقولا وعمليا لتسوية هذه الأزمة المؤلمة وغير الضرورية. فالخطة الرباعية التي قدمتها تدعو إلى وقف إطلاق النار فوراً، وإرسال مساعدات إنسانية الى المدنيين اليمنيين، وتسهيل الحوار بين المجموعات اليمنية داخل البلاد، وفي نهاية الأمر توجيههم إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية شاملة».

ولعل أفضل كلمة لوصف هذا الاقتراح، هو أنه ألعوبة لئيمة، فبعد أن فشلت إيران بإتمام احتلال اليمن عبر وكيلها الحوثي، تلجأ للمفاوضات علها تعوض بها ما خسرته بالحرب!

وأكثر ما يدل على كونها ألعوبة قضية المساعدات التي حاولت إيران تقديمها لليمن متجاوزة مركز التفتيش، ولما فشلت وحولت للتفتيش في جيبوتي تبين عدم صلاحيتها وألقيت في البحر!!

الخلاصة:

رسالة ظريف، سمجة، وألعوبة جديدة، يراد بها تحسين سمعة إيران، واستثمار الاتفاق النووي في مد نفوذها عبر مختلف الوسائل الدبلوماسية والعسكرية.

ولذلك فإن مطالبة بعض الأفاضل برد عربي رسمي أو شعبي على رسالة ظريف، هو نوع من إضاعة الوقت والجهد، فمن لا يعترف أصلاً بعدوانه وبغيه، ويطلب الحوار، سيكرر مهزلة المفاوضات العبثية مع إسرائيل عدة عقود، والنتيجة لا شيء.

ولذلك من يقول نحاول ونرمي الكرة في ملعبهم، نقول له: وماذا بعد ذلك، افترض أنك رددت على الرسالة وتبين مباشرة أو بعد مدة أنهم يمارسون الألاعيب، ماذا عندك عندها؟ للأسف الجواب: لا شيء، فلا تضيّع وقتك ووقتنا وجهدك وجهدنا.

وأخيراً هل ظريف، ظريف حقاً، وهل هو جار تُشترى جيرته؟

دولة الميلشيات

د. فراس الزوبعي– الوطن البحرينية ٢٠١٥/٨/١٠

هناك أسئلة تدور حول التظاهرات الجارية في مناطق الجنوب العراقي ذات الأغلبية الشيعية، الإجابة عنها ستكشف حقيقة هذه التظاهرات ونتيجتها، منها من الذي يقف خلف التظاهرات؟ ولماذا تحصل على الدعم مع أنها تستهدف الحكومة؟ ومن هو الطرف المستفيد منها داخل العراق وخارجه؟ وهل أن ما يجري من أحداث في الجوار العراقي له ارتباط بها؟ وإلى أين ستصل وماذا ستحقق؟

مع أن الظاهر للعيان حتى اللحظة أن غضبة شعبية تنامت مع ارتفاع درجات الحرارة رعاها الشباب الغاضب والنشط على مواقع التواصل الاجتماعي، كانت الشرارة التي أشعلت هذه التظاهرات التي وجد فيها الشباب فرصة للتعبير عن سخطهم متأثرين بالثورات التي قادها الشباب في أماكن متفرقة من العالم العربي، إلا أنه يبقى عدم توفر الكهرباء ونهب أموال البلد وارتفاع درجات الحرارة كل صيف ليس جديداً، فهو مسلسل عمره ١٢ سنة وليس وليد اللحظة، كذلك علينا أن لا ننسى وجود جيش إلكتروني من الميليشيات يسيطر على مواقع التواصل الاجتماعي في العراق ويملك آلاف الحسابات في «فيس بوك»، الوسيلة الأكثر انتشاراً في العراق.

لكـن هـذا لا يعـني أن المتظـاهرين هـم ميليشيات بل على العكس؛ فغالب من خرج هم أناس عاديون ذاقوا وبال حكومات الاحتلال في العراق كغيرهم، ولكنهم جمهور يمكن تحريكه بسهولة، ومع أن الحكومة في العراق حكومة طائفية تتحرك بأوامر إيران فإن ثقة الإيرانيين في ميليشياتهم أكبر من ثقتهم بها، ولذلك تجد الحكومة لا تستطيع مس الميليشيات ولو بكلمة، لأن الجيش والشرطة تشكل منها في الأساس. وعليه، فإن الدعم المشاهد لهذه التظاهرات وإن بدا حكومياً بواسطة الجيش والشرطة لكن حقيقته دعم من الميليشيات، وفي النهاية سيكون الطرف المستفيد منها داخلياً هو الميليشيات نفسها وخارجياً إيران التي تقف خلفها.

كل ذلك مرتبط بما يجري في محيط العراق، وخصوصاً الموقف التركي الأخير من تنظيم «داعش» وإعلانها الحرب عليه، الأمر الذي سيؤدي إلى اندفاع التنظيم إلى الداخل العراقي وقد يكون باتجاه بغداد، وفي ذلك فرصة لإيران لتستلم ميليشياتها قيادة العراق بشكل مباشر بدعوى فشل الحكومة في تحقيق مطالب الناس وحماية البلد من خطر تنظيم «داعش».

أما إلى أين ستصل هذه التظاهرات؟ فأمامها سيناريوان؛ الأول يترك المتظاهرين يهتفون حتى إذا شكلوا خطراً حقيقياً على الحكومة أفتت المرجعية الشيعية بوقف التظاهر، وعندها سيذهب كل واحد إلى بيته. الثاني أن يستمر التظاهر ويتصاعد حتى يسقط المتظاهرون الحكومة، وعندها تتسلم الميليشيات الطائفية زمام الحكم في العراق بشكل مباشر ومعلن وتحكم إيران العراق بدون وسيط، وهذا أقرب سيناريو وقد بدت بوادره من الآن بالظهور. فالأحزاب الشيعية بدأت تفضح بعضها البعض وتنشر غسيلها على مواقع التواصل الاجتماعي، والتظاهرات حمل ثقيل على حكومة فاسدة ومفلسة ومنهكة. وهذا السيناريو تريده إيران أيضاً وقبلها أمريكا، لتكون في العراق قوتان متقابلتان تتطاحنان فيما بينهما، الأولى «داعش» والثانية ميليشيات إيران، عندها سيظهر للعالم بشكل واضح حقيقة العراق الحالية وهي أنه دولة الميليشيات.

قراءة في خطاب ظريف!

د. محمد الرميحي- الشرق الأوسط ٢٠١٥/٨/٨

نشر وزير الخارجية الإيراني الأستاذ محمد جواد ظريف مقالة في شكل رسالة لمن يهمه الأمر في الجوار الإيراني، وأحسب أن المقصود العرب، حيث إنها نشرت باللغة العربية وفي وسائل إعلام عربية، وهي في جملتها تقع في إطار الدبلوماسية الشعبية التي تبناها ظريف، فقد كتب للغرب والعرب على حد سواء. لا أعرف إن كانت نفس الرسالة قد نشرت بالفارسية في إيران! أو بالتركية في تركيا!، فهم أيضا الدائرة التي تحيط بإيران، أو قل الدائرة الناشطة!

اختار الأستاذ ظريف عنوانا لافتا «الجار ثم الدار» حاولت أن أستقصيه في لسان العرب فلم أجد نصًا بنفس المعنى على كثرة النصوص العربية والإسلامية للتوصية على الجار والعناية بأموره، وربما هي حكمة فارسية ليس لعاقل أن ينفي أهميتها. وحتى لا نذهب بعيدا في التحليل، فإن الخطاب المفتوح يحمل الكثير من الإشارات، بعضها إيجابي وبعضها سلبي، وقبل الدخول في مناقشة نقاطها المهمة، فإن المتابع من هذه الضفة العربية يتساءل هل هذا الخطاب هو ما تعتقد به الإدارة العليا للجمهورية الإسلامية، أو هو فقط من مبادرات مجموعة، دعنا نسميها (المجموعة الإصلاحية) لأن أحد العوائق التي تقف أمام تصديق الخطاب هو التناقض الكبير في التصريحات بين

عـدد مـن أعمـدة الحكـم الإيرانـي، الـذي تفجـره المنافسة واختـلاف الـرؤى، عـدا التنـاقض الواضـح في الفعـل علـى الأرض (الـذي سـوف نناقشه لاحقـا)، ومـن جهـة أخـرى هـل يمكـن الوثـوق بهـذا الخطـاب (علـى مـا يحملـه مـن نقـائص) أم أن الأمـر لا يعـدو أن يكـون منـاورة سمعنـا مثلـها في السـابق مـن إدارات إيرانيـة أخـرى علـى مـر العقـود الثلاثـة الماضيـة، ثـم تبخـر الكـلام وبقـي الفعـل السـلبي ذاتـه. أرى أنـه مـن الخطـأ الـذهاب إلى تفسـير النيـات، ولكـن أيضـا مـن الخطيئـة الاسـتكانة أو عـدم اليقظـة، فـإن «بعـض الشك من الفطن».

هنـاك نقـاط في خطـاب ظريـف لا يمكـن الاخـتلاف عليهـا «حسـنت النيـات أو سـاءت» منهـا كمـا قـال: «إن المنطقـة تمـر باضـطرابات وتواجـه مخـاطر، وإن المطلـوب البحـث عـن آليـات تسـاعد جميـع بلـدان المنطقـة علـى اجتثـاث جـذور وعوامـل التـوتر وغيـاب الثقـة»، كمـا يقترح ظريـف بعـض تلـك الآليـات منهـا «تشـكيل مجمـع للحـوار الإقليمـي» كمـا نوافـق ظريـف أن الاتفـاق النـووي لـيس مـضرا، كمـا هـو الآن، للمنطقـة، هـو فرصـة لتوجـه إيرانـي جديـد نرجـوه، كمـا أن الفوضـى والاضـطراب لا تعرف حدودا! كل هذا صحيح.

مـا نريـد أن نـستأذن وزيـر الخارجيـة الإيرانـي بـالاختلاف معـه قولـه: «إيـران تعتمـد علـى شـعب يمتـاز بالمرونـة والـصمود في مواجهـة النزعـة الـسلطوية، وتعـيش بفـضل الله في أمـن وأمـان) وإن كانـت العبـارة الـسابقة في سـياقها الدبلوماسـي مفهـوم أن تـصدر منـه، فـإن أكـبر المـشكلات الـتي يمكـن أن يواجههـا ومؤيـدوه الاطمئنـان إلى «الأمـن والأمـان» في مرحلـة سـوف تبـدأ فيهـا الـشعوب الإيرانيـة بطـرح الأسـئلة الـصعبة، كمـا سـوف يبـدأ المتـشددون بوضـع العقبـات الـتي بـدأت بوادرهـا تظهـر إلى العلـن، فـإن هنـاك شـعوبًا إيرانيـة وأيـضًا شـرائح اجتماعيـة تـرى غـير مـا يـراه الـسيد ظريـف في هـذا المنحـى، علـى رأس مـا هـو ظـاهر الوضـعين الاقتـصادي والحريـات! وهـو أخـبر مـن الجميـع في ذلـك، ومـرة أخـرى تلـك قضية إيرانية تقوم الشعوب الإيرانية بحلها.

أمـا بيـت القـصيد في الرسـالة (المقـال) دعوتـه للحـوار الإقليمـي «وفـق مبـادئ مـشتركة وعامـة تعـترف بهـا دول المنطقـة وأهمهـا احـترام سـيادة ووحـدة تـراب جميـع الـدول، واسـتقلالها الـسياسي، وعـدم انتهـاك حـدودها والامتنـاع عـن التـدخل في الـشؤون الداخليـة للـدول الأخـرى، وتـسوية الخلافـات سـلميا، ومنـع التهديـد واسـتخدام القـوة، والـسعي لإحـلال الـسلام والاسـتقرار وتحقيـق التقـدم والـسعادة في المنطقـة».. كـلام لا أجمـل منـه ولا أعقـل! ولكـن هـل سـأل الـسيد ظريـف نفسـه تـرى مـن يتـدخل في شـؤون الـدول الأخـرى؟ هـل المحـاربون العـرب في كـازرون مـثلا أو فـيروز آبـاد أم المحـاربون الإيرانيـون في سوريا؟! ومـن يقتـل وبيـد مـن؟ ومـن ينـاصر تلـك القـوى الـتي تـأتمر بـأوامر إيـران مثـل حـزب الله أو الجماعـات العراقيـة الفئويـة، مثـل وحـدة الخراسـاني وجـيش المختـار وغيرهـا مـن الجماعـات الـتي تحـارب بـسلاح وذخـيرة وخـبرة إيرانيـة لتقتـل العـرب؟ تـرى مـن يـنظم ويـدرب ويمـول الكـثير مـن الجماعـات في كـل مـن سـوريا والعـراق والـيمن والبحـرين (وكلـها دول جـارة)، متـدخلاً علنًـا في شـؤونها الداخليـة؟ فقـط علـى المتـابع أن يقـرأ بعـض تقـارير المنظمـات الدوليـة المهتمـة بحقـوق الإنـسان، ليعـرف كـم هـي عميقـة تلـك التـدخلات، ثـم مـن تـشيع صُـوره مـن القـادة العـسكريين العـرب علـى الأرض الإيرانيـة، لا أحـد! ولكـن الـسيد قاسـم سـليماني، قائـد فيلـق القـدس الرسمـي الإيرانـي، التـابع لحـرس الثـورة الإسـلامية، يبـدو فخـورا أمـام وسـائل الإعـلام بمـا يفعـل حتـى أصـبح (أيقونـة) في أكثـر مـن أرض عربيـة! حقيقـة الأمـر الملـف الخـاص بالتـدخلات في الجـوار ثقيـل

ومتشعب وقائم على آيديولوجيا يعرف السيد ظريف أنها متمكنة وأصبحت مصلحية في جوانب من هيكلية النظام الإيراني.

لا أحد يناقش أو يعترض أن تقوم إيران ببناء مشروع نهضوي خاص بها، بالطريقة التي تلائمها وتقبل به شعوبها، ذلك حق مطلق لا نقاش حوله، الاعتراض على اليد الإيرانية التي تستخدم في الغالب أدوات عربية تحت شعارات مختلفة من أجل إشاعة الاضطراب في المنطقة. يطلب السيد ظريف أن يحارب الجميع الإرهاب، وهو محق، ويرى كيف تقوم دول المنطقة بمحاربة «داعش» واستنكار ما تقوم به من أعمال بهيمية. ولا يوجد أي نوع من العلاقة بين تلك الجماعة ودولة عربية، إلا أن العلاقة قائمة بين جماعات تفعل نفس الفعل تقريبا (الإرهاب) في جيرانها ومواطنيها، وهي مناصرة علنا من النظام الإيراني، ويعرف السيد ظريف تفاصيل ذلك وربما بالأسماء. ويطرح السيد ظريف خطة للخروج من مأزق اليمن (للحوار بين الأطراف) ولكن كيف يتم ذلك وبعض تلك الأطراف تغتصب السلطة وتحتكر السلاح مثلها مثل حزب الله الذي يدين علنا لطهران، ويحتكر السلاح إلى درجة - كما نقل أخيرا - القيام بتعطيل الأخوة المسيحيين في قرية مليخ الجنوبية عن إتمام صلاتهم بالقوة!

الآلية المقترحة من السيد ظريف لحل المشكلات العالقة مثيرة للعجب، فهو في اليمن يتجاهل قرارًا دوليًا، رقمه بالمناسبة ٢٢١٦ بتاريخ ١٤ أبريل (نيسان) هذا العام، يحدد آلية الحل في اليمن، كما يتجاهل في سوريا قرارات «جنيف ١»، وهي دولية أيضا، وفي العراق يتجاهل أهمية تسليح أبناء الأنبار للدفاع عن أرضهم، أما في لبنان الذي يحتضر كدولة، فإنه يتجاهل أرضية الحل الكامنة في أن لا سلاح إلا سلاح الدولة! إذن أرضية الحلول موجودة، إن حسُنت النيات دون اجتهاد لحلول جديدة!

في التراث الإسلامي للجار حقوق كما قال السيد ظريف، ولكن أول تلك الحقوق وعلى رأسها (كف الأذى) الذي نرجو أن يتفضل السيد ظريف بكتابة مقال آخر حول طريقة كف الأذى عن الجار العربي!

عين على التقارب الإيراني مع حزب الشعب الجمهوري

محمد زاهد جول- شؤون خليجية ٢٠١٥/٨/٨

في العرف السياسي تبقى مسألة تشكيل الحكومات الائتلافية من قضايا التنافس السياسي الداخلي بين الأحزاب السياسية الفائزة في الانتخابات البرلمانية على أساس حزبي، وهذا العرف عام بين كافة الدول في العالم، فالانتخابات مهما كان نوعها تعتبر من القضايا السياسية الخاصة بالمواقف الشعبية من الأحزاب السياسية العاملة داخل الدولة، وتتجنب الدول الخارجية التدخل في شؤون الانتخابات، أو التدخل في نتائجها مهما كان نوعها، لأنها انعكاس لآراء الشعب داخل دولته أولًا، وفي موقفه من الأحزاب السياسية التي صوت لها في الانتخابات، وهذا الحال ينطبق على الانتخابات البرلمانية الأخيرة في تركيا، والتي أفرزت تقدم حزب العدالة والتنمية بـ ٢٥٨ نائباً، وحزب الشعب الجمهوري، بـ ١٣٢ نائباً، وحزب الحركة القومية بـ ٨٠ نائباً، وحزب الشعوب الديمقراطي بـ ٨٠ نائباً، وتمثل مجموع نواب البرلمان التركي البالغة ٥٥٠ نائبًا.

وبحسب النتائج السابقة، واجهت تركيا صعوبة في تشكيل الحكومة التركية، فلم يتمكن أحد الأحزاب السياسية وبالأخص حزب العدالة والتنمية من تشكيل الحكومة بمفرده، حيث يتطلب تشكيل حكومة أغلبية أي ٥١ ٪ من

أصوات البرلمان، أي ٢٧٦ نائباً لإقرار الحكومة بالثقة البرلمانية، وهو ما لا يملكه أحد من الأحزاب الفائزة كما أظهرت النتائج، ومع ذلك كلف رئيس الجمهورية التركية السيد رجب طيب أردوغان، رئيس حزب العدالة والتنمية السيد أحمد داود اغلو، بتشكيل الحكومة ابتداء من تاريخ ٩- ٧- ٢٠١٥، وبحكم القانون فإن داود اغلو أمامه خمسة وأربعين يوماً لتشكيل الحكومة، فعليه أن يشكل الحكومة قبل تاريخ ١٥ آب/ أغسطس القادم، وهو الآن أمام عدة خيارات، وهي: تشكيل حكومة أقلية أولاً، أو حكومة ائتلافية مع أحد الأحزاب الفائزة ثانياً، أو خيار انتخابات مبكرة ثالثاً.

حكومة الأقلية تعني تشكيل حكومة من وزراء حزب العدالة والتنمية فقط، وبذلك فإن حزب العدالة والتنمية يحتاج إلى ثمانية عشر صوتاً من نواب الأحزاب الأخرى حتى يقر تشكيل الحكومة بأغلبية ٢٧٦ نائباً، ولكن وحتى لو تم تشكيل حكومة الأقلية، وتم ضمان ثمانية عشر نائباً لدعمها، فإنها تبقى حكومة قلقة وغير مستقرة، ويمكن لأصغر عاصفة سياسية داخلية ان تطيح بالحكومة، لأنها ستكون حكومة لا يستطيع حزب العدالة والتنمية الدفاع عنها وحده، وسيبقى بحاجة أو تحت ضغوط أو ابتزاز النواب الذين يصوتون له لنيل الثقة من البرلمان، وهذا أمر سوف يوتر الحياة السياسية التركية كثيراً، وسوف يعيد تركيا إلى عهد الحكومات غير المستقرة، والتي أدت إلى ضعف الاقتصاد التركي، الذي كان يتأثر بتأرجح الحياة السياسية وتوافقات الحكومة غير المستقرة، فضلاً عن مخاطر الإضربات الأمنية المحتملة في تلك الظروف.

ولعل الأفضل من تشكيل حكومة الأقلية هو تشكيل حكومة ائتلافية، وذلك يكون بعقد اتفاق بين حزبين من بين الأحزاب الأربعة، وبعد تكليف داود اغلو فإن التحالف المنشود هو بين حزب العدالة والتنمية مع أحد الأحزاب الثلاثة المتبقة، وهنا لا بد من أخذ تصريحات زعيم حزب الحركة القومية دولة باهشلي، بعين الاعتبار، حيث أعلن في الأيام الثلاثة الماضية، عن ثلاثة مواقف سياسية متباينة، أولها أنه يفضل أن يكون في المعارضة الأم، وأنه يفتح المجال لتحالف بين حزب العدالة والتنمية مع حزب الشعب الجمهوري، مع رفضه المؤكد لدخول نواب حزب الشعوب الديمقراطي (الكردي) أية حكومة أقلية أو حكومة ائتلافية، والموقف الثاني أنه لا يمانع من عقد اجتماع ثان مع داود اغلو بشأن حكومة ائتلافية بعد عطلة العيد، والموقف الثالث والأخير إعلانه رفضه لتشكيل حكومة أقلية، وكأن هذه الحكومة تواجه صعوبات في التفاوض مع حزب الشعب الجمهوري، وقد يلجأ حزب العدالة والتنمية إلى حكومة أقلية، إذا ضمن تصويت نواب اكراد له من حزب الشعوب الديمقراطي، ودون ان يكونوا من وزراء الحكومة، وهذا الاحتمال يعني أن حزب العدالة والتنمية لا يريد أن يخضع لشروط قاسية من حزب الشعب الجمهوري التي يتفاوض عليها الآن، ولذلك أعلن باهشلي أنه يفضل انتخابات مبكرة على الموافقة على حكومة أقلية، لأنه يرفض حكومة يكون للأكراد يد في تشكيلها، ولو كانوا خارجها.

في هذا الخضم المقبول سياسياً بين الأحزاب التركية الفائزة، يأتي تصريح سياسي خارجي يتدخل في الحياة السياسية التركية ويؤيد تحالف حزب تركي على آخر، وهو أمر غريب ومستهجن، وقد يكون مرفوضاً من بعض الأحزاب السياسية التركية، ومن قطاعات كبيرة من الشعب التركي أيضاً، وقد يكون لغير صالح تشكيل الحكومة إذا تم التصريح به لوسائل الإعلام، ولم يبق من المشاورات السرية، وبالأخص أنه جاء من دولة عليها علامات استفهام كبيرة في التسبب في حالة عدم استقرار سياسي في كل المنطقة والعالم، هذا

التصريح جاء من السفير الإيراني في تركيا السيد «رضا بيكديلي»، فقد صرح السفير الإيراني لدى تركيا علي رضا بيكديلي، بأنّ: «تشكيل حكومة ائتلافية تضم حزب الشعب الجمهوري في تركيا سيعود بالسلام على الشرق الأوسط»، وهذا بالرغم من إشارته الإيجابية في الحديث عن الاستقرار في الشرق الأوسط، ولكنه يأتي في سياق التدخل في شأن تركي داخلي، لأنه يقرر تأييدًا إيرانيًا لتحالف حزب العدالة والتنمية مع حزب تركي آخر هو حزب الشعب الجمهوري، والدول الخارجية في العادة ليست طرفاً في تشكيل الحكومة الائتلافية، ولا في تحديد من هي الأحزاب التي تشكل هذه الحكومة الائتلافية، بل على الدول الخارجية الترحيب بأي حكومة ائتلافية، وإلا فإن الحكومة الإيرانية تصبح طرفاً في الاختلافات السياسية بين الأحزاب السياسية التركية، وهذا أمر مرفوض قطعاً، وليس لصالح حالة الاستقرار التي يتحدث عنها السفير الإيراني.

ولم يتوقف التصريح الإيراني على نوع التحالف لتشكيل الحكومة التركية، بل وأعطاها واجبات يأمل أن تقوم بها، أو أنه يحدد لها شروط تكليفها، وهي في مرحلة المفاوضات المفترض أن تكون مفاوضات داخلية بين الأحزاب التركية وحدها، فقال بيكديلي إلى زعيم حزب الشعب الجمهوري كمال كلجدار أوغلو، في حفل إفطار في ١٦ تموز/ يوليو الجاري، وهو يحاوره حول تشكيل الحكومة: إنّ «أي خيار لتشكيل الحكومة الائتلافية يضم حزب الشعب الجمهوري سيساهم كذلك في تسوية القضية السورية»، وهذه الاشارة على براءتها تعد تدخلًا صارخًا في طبيعة المفاوضات السياسية الجارية بين حزب العدالة والتنمية وحزب الشعب الجمهوري، على تشكيل الحكومة الائتلافية، وكأن السفير الإيراني يطالب كلجدار أغلو أن يجعل الرؤية السياسية لحزب الشعب الجمهوري الموافقة للرؤية الإيرانية حول سوريا، من شروط تشكيل الحكومة الائتلافية، أي أن السفير الإيراني يتدخل في شروط تشكيل الحكومة الائتلافية، ويضع لها أهدافها ووظائفها المستقبلية، بدليل أن تاريخ هذه اللقاء بين السفير الإيراني وزعيم حزب الشعب الجمهوري كلجدار أغلو، جاء في نفس الفترة التي يجري فيها كلجدار أغلو مفاوضات تشكيل الحكومة الائتلافية مع داود اغلو الرئيس المكلف بتشكيل الحكومة.

هذه المواقف السياسية من السفير الإيراني، التي تتدخل في الشؤون الداخلية الخاصة بالشعب التركي وتشكيل حكومته الائتلافية، لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار أولاً، والحذر ثانياً، وبالأخص أن الحكومة التركية تعتبر إيران من الدول المساهمة أو المتسببة بحالة عدم الاستقرار في المنطقة، والداعمة أو المؤسسة للنزاعات الطائفية في العراق وسوريا واليمن وغيرها، وبذلك فإن التدخل الإيراني في الشأن التركي الداخلي والإعلان عنه يثير القلق بين أبناء الشعب التركي، وبين الأحزاب السياسية التي أعطاها الشعب صوته وأدخلها البرلمان بإرادته واختياره، فلو جاء حديث السفير الإيراني بعد تشكيل الحكومة مع حزب الشعب الجمهوري، وحثه على طرح الرؤية الإيرانية للحل السياسي في سوريا على الحكومة التركية، لكان هذا الأمر مقبولاً من باب أن حزب الشعب الجمهوري في ذلك الوقت يكون جزءاً من الحكومة التركية القائمة، ومن حقه أن يسمع ويفاوض ويشاور الأطراف السياسية المشاركة في الأزمة السورية، ولأنه سينقل نتائج هذا اللقاء- والذي يتم بالعادة بعد موافقة الحكومة- إلى جلسات الحكومة لأخذ رأيها فيه، فالتجاوز الإيراني جاء سيئاً في توقيته، ومخلاً في العلاقات التركية الإيرانية في الوقت الراهن، وهذا يتطلب أن تؤخذ هذه المفاوضات بعين الحساسية والحذر من التدخلات الإيرانية، التي ستكون أكثر في المستقبل لو فتح لها الباب أكثر أيضاً، فإيران في هذه المرحلة مطالبة بأن تكون طرفاً محايدًا بين

الأحــزاب التركيـــة كلــها، طالمــا هـــي في مرحلـــة تـــشكيل الحكومـــة الائتلافيـــة التركيـــة، وإلا فـــإن الأمــور ســتذهب في اتجاهــات أكثــر شــبهة وتخوفـاً في التمــدد الإيرانـــي في تركيـــا، مقارنـــة بالطريقـــة الـــتي تمـدد النفــوذ الإيرانـــي فيهــا في لبنــان وســوريا والــيمن، وما أسفر عنه من نتائج سيئة ومدمرة

فلسطين في الخطاب الإيراني... سقوط الوهم

إحسان الفقيه– شؤون خليجية ٢٠١٥/٨/١٣

«لمــاذا لم يعــد يوجــد أحجــار لــرجم الزانيــة؟.. وفقــا لأوامـــر المرشـــد الأعلـــى: تم شـــحن كـــل الأحجــار إلى فلــسطين كمُــساهمة مــن إيــران في الانتفاضــة ». هـــي نكتـــة إيرانيـــة كانـــت مُتداولـــة في الشارع الإيراني.

«ديماغوجيــا» كلمــة يونانيــة مــشتقة مــن كلمــة (ديمــوس)، وتعــني الــشعب، و(غوجيــا) وتعــني قيــادة ، أمـا معناهـا الـسياسي فـيعني مجموعـة الأسـاليب الـتي يتّبعهـا الـسياسيون لخـداع الـشعب وإغرائـه ظاهريـاً للوصول للسلطة وخدمة مصالحهم.

والـــديماغوجي هـــو الـــشخص الـــذي يـــسعى لاجتــذاب النـاس إلى جانبــه عــن طريـق الوعــود الكـاذبـة والتملّـق وتـشويه الحقـائق، ويؤكــد كلامــه مــستندا إلى شــتى فنــون الكــلام وضــروبه وكـــذلك الأحـــداث، ولكنـــه لا يلجـــأ إلى البرهـــان أو المنطق البرهاني.

وتُعـدّ القـضية الفلـسطينية هـي صُـلب الخطـاب الـديماغوجي لكــثير مــن الــدول والهيئــات، ممــن يتــسترون خلــف هــذه القــضية الأم، لتحقيــق أهــداف ومكاسب، أو للتغطية على الفشل.

❖إيــران، هـــي أكثــر الــدول اســتغلالا للقــضية الفلــسطينية، ومنـــذ قامـــت ثـــورة الخمـــيني عـــام ١٩٧٩م، وهـــو يرفـــع الـــشعارات البراقـــة ويُـــصدّر التـــصريحات الرنانـــة الـــتي تـــبرز المكانـــة المزعومـــة لفلسطين لدى إيران الخميني.

قـال الخمـيني عقـب انـدلاع ثورتـه عـام ١٩٧٩م: «لا قيمــة لكــل سياســاتنا إذا لم يكـــن لنـــا يـــد في القضية الفلسطينية».

❖لقـد خُـدع الكـثيرون مـن أبنـاء الأمـة بهـذا الخطـاب الإيرانـي الـذي يـضرب علـى وتـر حـساس لـــدى الـــشعوب الإســـلامية وهـــو القـــضية الفلـسطينية، واكتـسبت إيـران سمعـة زائفـة في دعـم القـضية، مـا جعـل الـشعوب الإسـلامية بعيـدة عـن تـأثير الخطـاب المـضاد، فمـن ذلـك تحـذير العاهـل الأردنـي الملك عبـد اللّه الثـاني مـن سـعي إيـران لإقامـة هـلال شـيعي، وكـذلك تحـذير المخلـوع حـسني مبـارك مـن ولاء شيعة العراق وغيرها لإيران.

فلـم تجـد مثـل هـذه التـصريحات صـدى بـين الـشعوب الـتي تـرى في إيـران القـوة الـصادقة الداعمـة لفلـسطين، مقابـل حكـام العـرب الـذين لم يقدموا لها شيئا.

❖وفي معـرض تناولـه لركـائز تفعيـل المـشروع الإيرانـي يقـول علـي حـسين بـاكير، الباحـث في منظمـــة البحـــوث الاســـتراتيجية: (الخطـــاب الـــديماغوجي (القـضية الفلـسطينية): وهـو خطـاب شـعبوي يتمحـور حـول مهاجمـة إسـرائيل وتعظـيم شـأن فلـسطين دون أن يعكـس ذلـك حقيقـة الأمـر، ذلـك أنّ الغايـة مـن هـذا الخطـاب تحريـك الـشارع العربـي واسـتقطابه لخلـق بيئـة مهيّـئة لتقبّـل النفـوذ الإيرانـي في العـالم العربـي تحـت شـعار مقاومـة إسـرائيل مـن جهـة، ولزعزعـة الأنظمـة القائمـة بغـض النظـر عـن التوقيـت عـبر ضـرب العلاقـة بـين النظـام الـسياسي وبـين الشعوب من جهة أخرى).

❖لكـن الـسؤال الـذي يطـرح نفـسه بنفـسه: مـاذا قـدمت إيـران لخدمـة القـضية الفلـسطينية، وهـل تناسـبَ مـا قدمتـه مـن دعـم للمقاومـة مـع حجـم الـشعارات الـتي تـوحي بمركزيـة القـضية الفلـسطينية في السياسة الإيرانية؟

لـنترك الحـديث للباحـث الإيرانـي المولـد والـسويدي الجنـسية «تريتـا بارسـي» في كتابـه

«حلف المصالح المشتركة»، حيث يقول:

(في حين اتهمت إسرائيل إيران بتمويل الإرهاب الفلسطيني، اشتكى الفلسطينيون أنفسهم من الوعود الكلامية الإيرانية ...، توفير إيران الدعم الكلامي كان أسهل من توفير الدعم العملي، ونادرا ما أُتبعت الشعارات الإيرانية بأفعال ملموسة حتى بعد اندلاع الانتفاضة الثانية. احتل الإيرانيون موقع الصدارة في إلقاء الخطب الرنانة التي تتحدث عن القضية الفلسطينية لكنهم نادرا ما التزموا بالمعايير التي وصفوها في تصريحاتهم، وأشار الدبلوماسيون الأوروبيون الذين أجروا اتصالات مع ممثلين عن الجهاد الإسلامي وحماس ممن زاروا إيران بعد الانتفاضة الثانية، إلى أن كلتا المجموعتين شعرت بخيبة أمل مريرة من مضيفيهم الإيرانيين، فإيران لم تُقدم لهم المال ولا الأسلحة).

❖**الكلام واضح، في أن إيران لم تقدم للقضية الفلسطينية سوى شعارات رنانة**، وتصريحات حماسية، تخدم إيران وحدها، وتروّج لها بين الشعوب العربية والإسلامية المخدوعة.

ولكن ... سقطَ وهمُ الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية عندما ساعدت إيران أمريكا وسهلت لها غزو العراق، والذي ما كان ليتم بدون مساعدة أذناب إيران في العراق، وباعتراف (محمد أبطحي) نائب الرئيس الإيراني السابق، والذي قال: «لولا إيران لما استطاعت أمريكا غزو أفغانستان والعراق».

ومن المعلوم أن العراق تمثل الجبهة الشرقية لفلسطين، والتفريط فيها هو بالأصل تفريط في فلسطين.

❖**يقول الباحث الدكتور غازي التوبة في دراسة بعنوان «المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية»**: (تعاونت إيران مع المحتل الأمريكي في احتلال العراق، ومن يحرص على قضية فلسطين، لا يقبل بتفكيك الجيش العراقي الذي هو أساس الجبهة الشرقية في مواجهة إسرائيل، ولأن المستفيد الأول من احتلال أمريكا للعراق هو إسرائيل، وقد اتضح ذلك في خطط المحافظين الجدد الذين هم صهاينة أكثر من صهاينة إسرائيل).

❖ **نعم .. سقط وهمُ الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية عندما دعمت إيران وتبنت النظام السوري النصيري الطائفي الذي يذبح أهل السنة بلا هوادة**، وهو ما يمثل خطرا على جميع أهل السنة بمن فيهم أهل فلسطين، وما جرائمهم ضد اللاجئين الفلسطينيين عنا ببعيد.

ونعم ..سقط وهم الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية عندما ربطت إيران دعم المقاومة الفلسطينية بانسجام تلك الفصائل مع مواقفها وتوجهاتها، لذلك رفعت الدعم عن حركة الجهاد الإسلامي، ورفعته كذلك عن حركة حماس، بل وشنت حملة إعلامية على الحركة، بعد رفض التماهي مع الموقف الإيراني تجاه أزمتي اليمن وسوريا.

ونعم .. سقط وهمُ الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية، عندما تحوّل ذراعها اللبناني (حزب الله) إلى ضرب أهل السنة بدلا من الكيان الإسرائيلي، ليثبت ما بُحّتْ لأجله الحناجر سابقا، من أن حزب الله يرفع شعار المقاومة ضد إسرائيل لتحقيق مكاسب إيرانية، فما هو إلا ورقة إيرانية تُلوّح بها طهران في وجه أمريكا وإسرائيل.

ونعم ... سقط وهم الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية عندما سقطت ورقة التوت عن إيران في علاقتها المتينة مع الكيان الإسرائيلي.

كتب (كلايد هبرمان) في نيويورك تايمز في نوفمبر ١٩٩٢م: «ظلت إسرائيل على مدى عدة سنوات على استعداد للتعامل مع إيران، حتى عندما كان الملالي في طهران يصرخون مطالبين بإزالة النظام الصهيوني».

وكان قد سبقه شيمون بيريز في التأكيد على ضرورة إقامة علاقات متينة مع إيران حيث قال للرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان عام ١٩٨٦: «إن إسرائيل والولايات المتحدة بحاجة

إلى إقامة علاقات استراتيجية أوسع مع إيران».

*يوما بعد يوم، أثبت الإيرانيون والإسرائيليون أن العلاقة بينهما أقوى بكثير مما ظن المسلمون والعرب.

واسألوا الرئيس خاتمي أين ذهبت شعارات الموت لأمريكا الشيطان الأكبر عندما قال: «الحضارة الأمريكية تستحق الاحترام، عندما نُقدّر جذور هذه الحضارة، تصبح أهميتها أكثر وضوحا».

وسلوهم عن فضيحة (إيران جيت)، عندما تسلمت إيران من أمريكا وعبر وساطة إسرائيلية صفقة أسلحة لمواجهة صدام حسين أيام الحرب بين إيران والعراق.

هل تعلم أن:

أن إيران تستضيف أكبر جالية يهودية في الشرق الأوسط خارج إسرائيل.

وأن ٢٠٠ ألف يهودي إيراني يعيشون مع أبنائهم في إسرائيل، ينتمي بعضهم إلى أعلى مستويات النخبة السياسية الإسرائيلية؟

أن الرئيس الإسرائيلي موشيه كاتساف إيراني المولد؟

أن شاؤول موفاز وزير الدفاع الأسبق إيراني المولد؟

أن رئيس الأركان السابق دان حالوتس من أبوين مهاجرين إيرانيين؟

أن في إيران حوالي ٤٠ كُنَس يهودي (جمع كنيس وهو المعبد اليهودي) تلحق بها مدارس عبرية..

أن إيران بها مكتبة يهودية تحتوي ٢٠ ألف كتاب؟

أن الأغاني الفارسية تنتشر في القدس المحتلة كدليل على التقارب الثقافي بين إسرائيل وإيران؟

*الأمثلة أكثر من أن يحيط بها المقال في التقارب الإيراني الإسرائيلي، وهو ما سوف يتم تناوله في مقالة لاحقة إن شاء الله.

*إن إيران من خلال الترويج لدعمها المزعوم للقضية الفلسطينية تهدف إلى التعبئة الداخلية للشعب الإيراني الذي تُشكّل له وعيه وفق سياساتها.

وتهدف من خلال ذلك إلى الترويج للثورة الخمينية ومبادئها بين شعوب المنطقة، باللعب على عاطفة الشعوب تجاه فلسطين، وهو ما يمكن إدراجه ضمن القوة الناعمة الإيرانية التي يتمدد من خلالها الملالي في تلك الدول.

وتهدف من خلال ذلك إلى إثبات فشل وعجز الأنظمة العربية أمام شعوبها، لتجعل الحكومات التي تعارضها أو تضادّها وكأنها تقف مع إسرائيل بحسب ما ذكر (بارسي).

إيران تروج لخطتها في السيطرة على دول المنطقة عبر ربطه بتحرير القدس، فهي تشكل وعي الجماهير على أساس أن الطريق إلى القدس يمر عبر السعودية والأردن وسوريا والعراق، بعد تطهيرها من الأنظمة الحاكمة، وعلى إثرها يكون التحرير المزعوم لفلسطين.

*وأختم بما نقله (محمد سرور زين العابدين) في كتابه «أيقاظ قومي أم نيام» عن صحف ومجلات سعودية:

«أقرّ النظام الإيراني خطته لاجتياح الدول العربية ضمن مناهج المدارس هذا العام، تم طبع كتب التربية الوطنية لتلاميذ المدارس للعام الدراسي الجديد، متضمنة فصلا كاملا عن خطة اجتياح الجيوش الفارسية لأربع دول عربية، هي: العراق وسوريا والأردن والسعودية، في طريقها لتحرير القدس»

*«تم طبع آلاف النسخ من الخريطة الإيرانية التي تحمل أسهُم حركة الجيوش من داخل إيران إلى العراق، ثم الانتشار منها إلى سوريا والأردن والسعودية، تتوقف هذه الأسهم عند هذا الحد دون أن تمتد بعد ذلك إلى القدس».

*ياقوم ... إننا نخوض اليوم معركة مفاهيم

ووعي، ولن نتمكن من النهوض وتحرير القدس إلا إذا حسمنا هذه المعركة أولا، عندما تتمايز الرايات، ويتضح العدو من الصديق، والصادق من المخادع، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

كيف خطت دوائر صناع القرار في الغرب حدود الشرق الأوسط؟

محمد فتحي– هافنغتون بوست عربي ٢٠١٥/٧/٢٦

منذ بداية الثمانينات، بدأت الدوائر الاستخباراتية الغربية في تسريب عدد من الخرائط والمشروعات المختلفة لإعادة تقسيم الشرق الأوسط، وهي المشروعات التي نالت قدرًا متفاوتًا من الاهتمام، وصاحبها أيضًا قدر لا بأس به من الأساطير والشائعات.

حيث يبدو أن الشرق الأوسط، تلك البقعة المتفردة من العالم، وحده القابل للتقسيم وإعادة التركيب من مكاتب صناع القرار في نيويورك وواشنطن وبروكسل، وربما تل أبيب، الأعجب أن تلك النظريات قابلة للتصديق تمامًا من قبل المجتمعات العربية، بل ربما يتخطى الأمر أحيانًا إلى التعامل معها كأنها أشبه ما تكون بحتمية تاريخية.

ولمَ لا؟ وقد تفردت المنطقة دونًا عن سائر بقاع العالم بالاتفاق التاريخي الذي اقتسمت بموجبه بريطانيا وفرنسا منطقة الهلال الخصيب في شرق المتوسط بإشراف قيصري روسي، حيث تم تقسيم ورسم الحدود في مكاتب مغلقة في القاهرة وبطرسبرغ في روسيا.

(١) اتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦)

وقعت الاتفاقية بين «جورج بيكو» المندوب السامي الفرنسي لشؤون الشرق الأدنى والسفير الفرنسي السابق لدى بيروت، ونظيره البريطاني «مارك سايكس» بإشراف مندوب روسيا، وأسفر الأمر عن اتفاقية سرية ثلاثية لاقتسام تركة الدولة العثمانية المنهارة. قسمت الاتفاقية الأراضي العربية وبعض الأراضي التركية والكردية، وتم اعتماد التقسيم نهائيًّا في اتفاقية (مؤتمر) سان ريمو في عام ١٩٢٠، حيث منحت عصبة الأمم موافقتها على الحدود التي خطتها بريطانيا وفرنسا.

بموجب هذه الاتفاقية، تم وضع المنطقة « أ » تحت النفوذ الفرنسي، حيث حصلت فرنسا على الجزء الأكبر من بلاد الشام (سوريا ولبنان حاليًا)، وجزء من الأراضي التركية الحالية ومنطقة الموصل في العراق، بينما استولت بريطانيا على المنطقة «ب» من الحدود الجنوبية للشام وشملت معظم أراضي العراق الحالي شاملة بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية.

وتم اقتطاع جزء من جنوب سوريا (فلسطين) ليتم وضعه تحت الإدارة الدولية، المشتركة بين بريطانيا وفرنسا، وجاء وعد بلفور (القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين) في فبراير/ شباط من عام ١٩١٧، وبعد أشهر قليلة من توقيع اتفاقية سايكس بيكو، وهو ما حدا بالكثيرين، خصوصًا العرب، لاعتبار أن القيام بزرع (إسرائيل) داخل المنطقة العربية هو أحد التفاهمات والتداعيات الرئيسية للاتفاق المثير للجدل.

قسمت هذه الاتفاقية وما تبعها «سوريا الكبرى» إلى دول وكيانات سياسية كرست الحدود المرسومة بموجب هذه الاتفاقية والاتفاقيات الناجمة عنها، حيث استقل العراق فعليًّا عام ١٩٣٢، بينما استقلت لبنان ككيان مستقل عام ١٩٤٣ تبعها ما تبقى من سوريا في عام ١٩٤٦، بينما انضمت المنطقة الشمالية من سوريا إلى تركيا.

وعلى الجانب البريطاني، حصلت الأردن على استقلالها عام ١٩٤٦، بينما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين يوم ١٤ مايو/ أيار ١٩٤٨، وتبعها في اليوم التالي إعلان قيام دولة إسرائيل، فوق أجزاء كبيرة من فلسطين.

تعديلات سايكس بيكو في ثمانينيات القرن الماضي

ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي بدأت دوائر صناع القرار في الغرب تستشعر أهمية إجراء

تعديلات في حدود سايكس بيكو على خلفية اضطرابات متعددة ألقت بصداها على المنطقة بدءًا من الثورة الإيرانية ثم حروب الخليج الأولى والثانية والغزو الأمريكي للعراق ثم انتفاضات الربيع العربي، وبخاصة في سوريا، وما تبعها من تنامي النزعات العرقية والطائفية في بلاد الشام والعراق، ثم ظهور تنظيمات مسلحة عابرة للحدود.

ووفقًا لمعهد بروكنجز في مايو/ أيار ٢٠١٤ فإن محرك البحث في جوجل يعطي حوالي ١٥ ألف نتيجة (١٤,٧٠٠) للبحث حول (نهاية سايكس بيكو)، ففي الوقت الذي تتساءل فيه دوائر صناع القرار الغربية حول تداعيات الانهيار المرتقب أو الذي بدأ بالفعل لحدود (سان ريمو)، ويبحثون في ملفاتهم القديمة، فإن العرب صاروا أكثر اهتمامًا بمثل هذه الخطط، بينما ينتظرون مصيرهم المجهول

(٢) إسرائيل الكبرى: خطة «أودد ينون»

نشرت خطة «أودد ينون» لأول مرة في فبراير/ شباط ١٩٨٢ تحت عنوان إستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات، ونُشِرت في مجلة «كيفونيم» الإسرائيلية، وقدمها إلى العالم باللغة الإنجليزية الحقوقي وأستاذ الكيمياء العضوية الإسرائيلي الأمريكي «إسرائيل شاهاك»، تحت عنوان «خطة إسرائيل للشرق الأوسط».

ترتكز خطة ينون على مفتاحين رئيسيين، يتلخصان في أنه على إسرائيل أن تتحول إلى قوة إمبريالية، وأنه يجب إعادة تقسيم العالم العربي إلى دويلات صغيرة غير فعالة وغير قادرة على الوقوف في وجه الإمبريالية الإسرائيلية وتحطيم الدول المركزية مستغلة عدم التجانس العرقي والديني والإثني في سائر الدول العربية.

تقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة

ويشير «إسرائيل شاهاك» في تقدمته لترجمة الدراسة أن فكرة تقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة هي إحدى الأفكار التي طرحت مرارًا وتكرارًا في الفكر الإستراتيجي الإسرائيلي، واستشهد بما كتبه الصحفي الإسرائيلي الفرنسي الأصل «زئييف شيف»، (توفي عام ٢٠٠٧)، والذي عمل في صحية «هآرتس» كمتخصص في شؤون الدفاع والإستراتيجية، وكتب في صحيفة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ٦ فبراير/ شباط ١٩٨٢ قائلًا: «إن تفكك العراق إلى دولة شيعية وأخرى سنية وانفصال الجزء الكردي هو ما تأمل إسرائيل حدوثه في العراق».

«يمثل السنة ٦٠- ٦٥٪ من المسلمين، بينما يمثل الشيعة ١٥- ٢٠٪ والأكراد حوالي ١٧٪ معظمهم من السنة».

خطة «أودد ينون»

العراق: ومما جاء في خطة «ينون» عن العراق قوله: «إن تفكيك سوريا والعراق إلى مناطق عرقية وإثنية ودينية متناحرة يجب أن يكون الأولوية الأولى لإسرائيل على جبهتها الشرقية، فغنى هذه المناطق بالنفط من ناحية، والصراعات الداخلية التي تمزقها تجعلها مرشحة بشكل مثالي للأهداف الإسرائيلية».

سوريا: وتنبأ «ينون» بسقوط سوريا في أتون صراعات عرقية وإثنية شأنها شأن لبنان، كُتبت المقالة إبان الحرب الأهلية اللبنانية وقبل ٤ أشهر من الغزو الإسرائيلي للبنان حيث كانت لبنان وقتها مقسمة إلى ٥ مناطق إدارية تقف على رأس كل منها سلطة شبه سيادية.

الأولى: مسيحية في الشمال، وتتزعمها أسرة فرنجية، التي تؤيدها سوريا، والثانية: في الشرق وتقع تحت السيطرة السورية المباشرة، والثالثة: مسيحية في الوسط تسيطر عليها «القوات اللبنانية» المسيحية، والرابعة: بمحاذاة نهر الليطاني وتسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية، والخامسة: في الجنوب المحاذي لإسرائيل وبها أغلبية شيعية.

وتوقع «ينون» أن يؤول مصير سوريا بين دولة علوية على الساحل، ودولة سنية في حلب، ودولة سنية أخرى في دمشق، ودولة للدروز في الجولان (الجولان الإسرائيلي بتعبير ينون) وحوران وشمال

الأردن.

مصر: ووصف «ينون» مصر بأنها دولة هشة تتمزق بين عدة مراكز للقوة، وأنها تقع تحت سيطرة نظام بيروقراطي وتخضع لوضع اقتصادي سيئ فهي وفقًا لوصفه دولة (غزيرة السكان شحيحة الموارد)، كما أبدى اهتمامًا خاصًا بمناطق تركز الأقباط في مصر مقدرًا نسبتهم بـ ١٠٪ من سكان مصر، وأنهم يمثلون أغلبية في الجنوب.

وشدد على أهمية استعادة إسرائيل لشبه جزيرة سيناء (والذي تقف اتفاقية السلام حائلًا دونه وفقًا لوصفه)، مؤكدًا على أهمية استعادة الأوضاع إلى ما قبل زيارة السادات واتفاقية السلام «الكارثية» وفقًا لوصفه مبديًا اهتمامًا خاصًا بالثروات النفطية في شبه جزيرة سيناء لسببين:

أولهما أنه لا يمكن لإسرائيل الاعتماد كليًّا على المعونة الأمريكية التي تحصل عليها على خلفية اتفاقية السلام، وثانيهما منع مصر من استغلال الثروات في شبه جزيرة سيناء لأجل استعادة عافيتها.

الخليج العربي: وحول المملكة العربية السعودية ودول الخليج، فقد وصفها «ينون» بأنها «قصور مبنية في الرمال»، حيث لا يوجد شيء يذكر سوى النفط. ووصف دول الخليج أنها «دول تتحكم فيها الأقليات بالأغلبية»، فوفقًا لزعمه وقتها، فإن الكويتيين لا يمثلون سوى ربع عدد المقيمين بالكويت بينما توجد أغلبيات شيعية في البحرين والإمارات تحكم بواسطة أقليات سنية، حتى المملكة العربية السعودية فإن حكومة أقلية تحكم أغلبية من الوافدين معظمهم من المصريين واليمنيين.

ووصف الأردن بأنها فلسطينية بالأساس تحكم بواسطة أقلية بدوية عابرة، ووصف عمان بأنها فلسطينية تمامًا كنابلس، ووصف الجيش السوري بأنه جيش سني تتحكم فيه أقلية علوية، أما الجيش العراقي فهو جيش شيعي تحكمه قيادة سنية مما دفعه للحكم بصعوبة الحفاظ على استقرار طويل الأمد في هذه الجيوش.

المغرب العربي: وحول المغرب العربي يرى ينون أن المنطقة تعج بتناقضات عرقية بخاصة بين العرب والبربر طالما تسببت في حروب عدة كما حدث في الجزائر، مع صراعات بينية حول ترسيم الحدود مثل مشكلة الصحراء بين المغرب والجزائر.

(٣) خطة برنارد لويس

«برنارد لويس» هو بريطاني أمريكي وهو أستاذ فخري لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برينستون، وهو كاتب صحفي عمل في مجلة نيويوركر وغيرها، وله مؤلفات متخصصة حول الشرق الأوسط والإسلام، ويفوق عمره الآن ٩٩ عامًا ببضعة أشهر، فهو من مواليد مايو/ أيار ١٩١٦.

تعتمد خطة «لويس» بشكل كبير على اشتعال (إشعال) الحروب الطائفية في المنطقة، وقد نشرت ملامح خطة «لويس» في مقاله الذي نشره في مجلة فورين أفيرز تحت عنوان «إعادة التفكير في الشرق الأوسط» في عام ١٩٩٢، في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي ثم الغزو العراقي للكويت.

بنى «لويس» فلسفته على ما وصفه بأنها «نهاية القومية العربية» وفقدان الدول العربية لوظيفتها ككيانات سياسية، مستشهدًا بالفارق بين الموقف الموحد الذي اتخذته الدول العربية ضد قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨، وبين موقفها الصامت على غزو إسرائيل للبنان وطردها لمنظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٨٢ ثم الغارات الجوية الأمريكية على ليبيا في عام ١٩٨٦ وتزايد المناوشات بين الدول العربية وبعضها البعض انتهاء إلى تلاشي ما وصفه بـ«حلم العروبة».

تنبأ «لويس» كذلك بنهاية عصر استخدام النفط كسلاح فعال في أعقاب حرب الخليج الثانية، وهو ما يعزز من ضمور العرب كقوة سياسية فعالة، كذلك أولت خطة «برنارد لويس» اهتمامًا خاصًا بتفكيك الجمهوريات الإسلامية في شرق آسيا والاتحاد السوفيتي السابق معتبرًا إياها جزءًا من الشرق الأوسط التاريخي، كما أعطى اهتمامًا خاصًا من خطته لتفكيك إيران.

دولة للكرد: الدولة الكردية حضرت بوضوح أيضًا في خطة «برنارد لويس» مقتطعًا جزءًا من تركيا، كما أشار إلى تقسيم العراق بين دولتين سنية وشيعية مع اقتطاع جزء لصالح الدولة الكردية، وبقيت سوريا متماسكة في خطة «لويس» (قبل قيام الحرب في سوريا) باستثناء منطقة خاضعة للسيطرة الكردية، كما أولى «لويس» اهتمامًا خاصًا للأهمية الإستراتيجية لسيناء بالنسبة لإسرائيل.

(٤) مشروع الشرق الأوسط الجديد وخرائط «رالف بيتر» و«جيفري جولدبرج

أُطلق مصطلح «الشرق الأوسط الجديد» لأول مرة في عام ٢٠٠٦ على يد «كونداليزا رايس» مستشارة الأمن القومي ووزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، في مقابل مصطلح الشرق الأوسط الكبير، وتزامن هذا التحول في مصطلحات السياسة الخارجية الأمريكية مع تدشين خط أنابيب (باكو- تيبلسي- جيهان) في شرق المتوسط.

قدمت مشروع «الشرق الأوسط الجديد» علنًا كل من واشنطن وتل أبيب، مع توقع أن لبنان ستكون نقطة الضغط لإعادة تنظيم الشرق الأوسط كله (حاولت إسرائيل غزو لبنان بعد ذلك بأشهر)، وارتبط ظهور مشروع الشرق الأوسط الجديد بمصطلح كثيرًا من تم تداوله على ألسنة الساسة في الولايات المتحدة في هذا التوقيت، وهو ما يعرف بمصطلح «الفوضى الخلاقة» أو «الفوضى البناءة» والذي يعني ببساطة استغلال ظروف الفوضى والحروب في كل إقليم من أجل إعادة تشكيل وجه الشرق الأوسط لتحقيق الأهداف الجيو- إستراتيجية للحلفاء.

تزامن الحديث عن مشروع «الشرق الأوسط الجديد» مع ظهور خريطة الكولونيل «رالف بيتر» والتي تم نشرها في مجلة القوات المسلحة الأمريكية لأول مرة في يونيو/حزيران من العام نفسه (٢٠٠٦) تحت عنوان «حدود الدم: كيف يمكن للشرق الأوسط أن يبدو بشكل أفضل؟»، جدير بالذكر أن «رالف بيتر» هو كولونيل متقاعد في أكاديمية الحرب الأمريكية، ويعتبر رالف بيتر أحد المحللين العسكريين المقربين من دوائر صناعة القرار في الجيش والاستخبارات.

وعلى الرغم من أن هذه الخريطة لم تصدر عن جهة رسمية أمريكية، فقد تم استخدامها في كلية الدفاع بحلف الناتو لتدريب كبار قادة وضباط الجيش. ومن المرجح وفقًا لـ«جلوبال رريسيرش» أنه قد تم استخدامها في الأكاديمية الوطنية للحرب وفي دوائر أخرى للتخطيط العسكري.

ترتكز هذه الخريطة على خرائط قديمة وضعت للشرق الأوسط منها الخرائط التي وضعت بعد الحرب العالمية الأولى في عهد الرئيس الأمريكي «وودرو ويلسون»، ووصف «بيتر» الحدود الموضوعة في الشرق الأوسط وإفريقيا حاليًا بأنها «حدود مشوهة وضعها الأوربيون لتمرير مصالحهم».

مؤكدًا أنه لا يمكن الوصول إلى تقسيم حدودي يمكن أن يجعل من الجميع سعداء، واصفًا الحدود الجديدة التي وضعها بأنها عملية «تصحيح للأخطاء بحق تجمعات سكانية شديدة الأهمية مثل الأكراد والبلوش والعرب الشيعة».

تقسيمات رالف بيتر للشرق الأوسط: النظر إلى خريطة «رالف بيتر» يقودنا إلى تغييرات عدة، لعل أهمها في منطقة مثلث (باكستان وأفغانستان وإيران) عبر اقتطاع (بلوشتان المستقلة) من حدود الدول الثلاث، إضافة إلى دولة كردستان والتي تضم أجزاء من سوريا والعراق وتركيا الحالية وإيران، ثم اقتطاع جزء آخر من إيران لصالح أذربيجان، ثم دولة للسنة في العراق تجمع بين مساحات من العراق وسوريا حيث تتواجد الأغلبية السنية، ودولة للعلويين على الساحل السوري ودولة للشيعة العرب (معظمها على الأراضي العراقية) تحاصر الإمارات الخليجية الصغيرة: الكويت والإمارات والبحرين.

أما السعودية فكان لها نصيب الأسد من رؤية

«رالف بيتر» لإعادة الهيكلة، حيث رأى أن ينضم الجزء الشمالي منها إلى «دولة الأردن الكبرى» على أن يتم صناعة دولة مقدسات في مكة والمدينة «أشبه بالفاتيكان» بينما يتم ابتلاع الجزء الجنوبي منها ضمن إطار الحدود اليمنية.

خريطة «رالف بيتر» أثارت غضب تركيا: بقي التأكيد أن خريطة «رالف بيتر» لم يتم الاعتراف بها بشكل رسمي من قبل دوائر صناعة القرار الأمريكية، ولاقت احتجاجات واسعة بعد ظهورها، أبرزها ردود فعل غاضبة في تركيا ظهرت في صورة بيانات صحفية يوم ١٥ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٦ بعد عرض الخريطة في كلية الحرب في حلف الناتو، ما أثار غضب الضباط الأتراك.

وهو ما دفع رئيس الأركان التركي الجنرال «بويوكانيت» لمخاطبة رئيس هيئة الأركان المشتركة للحلف الجنرال «بيتر بيس» احتجاجًا على الخريطة مما دفع البتاجون للتأكيد أن الخريطة لا تعكس السياسة الرسمية للولايات المتحدة وأهدافها في المنطقة.

خريطة «جيفري جولدبرج»: وتعتبر خريطة «جيفري جولدبرج»، التي نشرها للمرة الأولى في مجلة (ذا أتلانتيك) أواخر عام ٢٠٠٧ (أعاد جولدبرج تقديم أطروحته في ذات المجلة في يونيو/ حزيران ٢٠١٤)، امتدادًا لخرائط «رالف بيتر»، وطرح «جولدبيرج» أطروحته في مقالات له بعنوان «ما بعد العراق» تزامنًا مع طرح مجلس الشيوخ الأمريكي خطة وصفت بأنها غير ملزمة لتقسيم العراق.

أولت خريطة جولدبرج اهتمامًا خاصًا لتقسيم السودان إلى شمالي وجنوبي (حدث التقسيم فعليًا بعد ذلك بثلاث سنوات)، وتشارك مع «رالف بيتر» ذات الرؤية بالنسبة للمملكة العربية السعودية، ودولة كردستان مع إعادة تقسيم سوريا والعراق والأردن ضمن ٤ دول هي (دولة سوريا الكبرى ودولة الأردن الكبرى ودولة العراق السنية ودولة العراق الشيعية)، كما أوصى بوضع شبه جزيرة سيناء تحت سيطرة دولية.

(٥) خريطة صحيفة نيويورك تايمز

نشرت الخريطة في ٢٨ سبتمبر/ أيلول من عام ٢٠١٣، وأثارت جدلًا واسعًا في حينها، وضم المقال الذي كتبته «روبن رايت» مشروعًا أو توقعًا لتقسيم ٥ دول في الشرق الأوسط وتفتيتها إلى ١٤ دولة جديدة، وقد ظلت هذه الخريطة حبيسة لأروقة الصحافة لم ترق إلى حدوث جدل كبير على مستوى رسمي سوى أن الصحافة العربية تلقتها بقدر واسع من الاهتمام.

تقسيم نيويورك تايمز: خلال الخريطة المتوقعة، تم تقسيم سوريا إلى ٣ دويلات إحداها للعلوين على الساحل، ودولة للسنة في القلب، ودولة أكراد سوريا المرشحة للانضمام إلى أكراد العراق، أما العراق فقسمت لعراق سنية في الشمال (تلتصق بدولة السنة في سوريا)، مع دولة شيعية في الجنوب، ثم امتداد كردي موازٍ لأكراد سوريا، أما السعودية فقسمت لخمس دول في الشمال والجنوب والشرق والغرب والوسط، بينما قسم اليمن ليمن شمالي، ويمن جنوبي.

وعلى الجانب الإفريقي، قسمت ليبيا على أساس قبلي إلى دولة في الشرق عاصمتها بنغازي، ودولة في الغرب وعاصمتها طرابلس، ودولة في الجنوب وعاصمتها سبها.

في الختام، وبصرف النظر عن مدى جدية هذه المشروعات وفاعلية أصحابها في صناعة القرار، وحول ما إذا كانت فعليًا تشكل بعضًا من حقيقة رؤية القوى الكبرى للمنطقة، فإن المؤكد للرائي أن الشرق الأوسط هو من يقود نفسه نحو مصير مجهول مليء بهواجس التفتيت والتقسيم وأنه إذا كانت سايكس بيكو قد حدثت في غفلة من عمر الزمان بينما لم تفق دول الشرق الأوسط سوى على وقع الصدمة، فإن التغييرات التي يموج بها الشرق الأوسط الآن ليل نهار تحدث على مرأى ومسمع من الجميع وأنه لا شيء بإمكاننا أن نعده بعد الآن مفاجئًا أو صادمًا.